

# الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

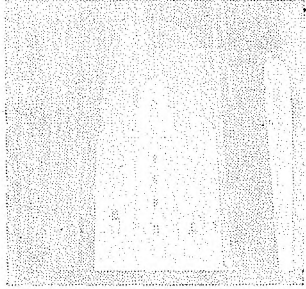
السنة العاشرة — العدد ١١٠ — غرة صفر ١٣٩٤ هـ — فبراير ١٩٧٤ م



وَأَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ الْعَالِمُ كُفْرًا نَفْسًا لِحُجُورٍ

أَجْمَلُ وَأَجْمَلُ وَأَجْمَلُ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا



صومعة جامع القيروان ، وهي ذات طوابق ثلاثة ، وارتفاعها ٣٥ مترا . بناها الأمير حسان بن نعمان ، وقد بنى جامع القيروان بتونس القائد المظفر عقبة بن نافع بعد ٤٩ عاما من وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

( تصوير مجلة العربى )

### التمن :

٥٠ فلسا	الكويت
١ ريال	السعودية
٧٥ فلسا	العراق
٥٠ فلسا	الأردن
١٠ قروش	ليبيا
١٢٥ مليما	تونس
دينار وربع	الجزائر
درهم وربع	المغرب
٧٥ فلسا	الخليج العربى
٧٥ فلسا	اليمن وعدن
٥٠ قرشا	لبنان وسوريا
٤٠ مليما	مصر والسودان

## الوعى الإسلامى

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العدد ١١٠

غرة صفر ١٣٩٤ هـ

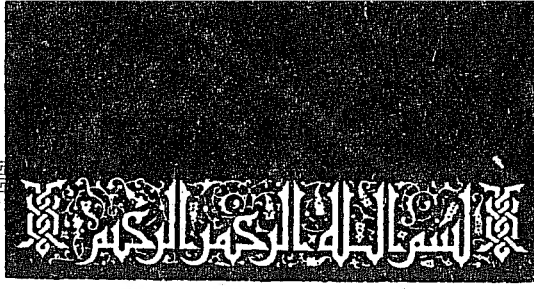
فبراير ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وإيقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى الاشتراك السنوى للهيئات فقط اما الأفراد فيشتركون راسا مع متمد التوزيع كل فى قطره

### عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الإسلامى — وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية  
صندوق بريد : ١٣ — كويت — هاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨



# الله

هذا الاسم الكريم علم على الذات المقدسة التي تؤمن بها ، ونعمل لها ونعرف  
أن منها حياتنا واليهما مصيرنا .

والله تبارك وتعالى أهل الحمد والمجد وأهل التقوى والمغفرة ، لا نحصى ثناء  
عليه ، ولا نبلغ حقه توقيرا واجلالا .

ولو أن البشر منذ كتب لهم تاريخ والى أن تهمد لهم على ظهر الأرض حركة  
— نسوا الله ما خدش ذلك شيئا من جلاله ، ولا نقص ذرة من سلطانه ، ولا  
كسف شعاعا من ضيائه ، فهو سبحانه أغنى بحوله وطوله وأعظم بذاته وصفاته  
وأوسع فى ملكوته وجبروته من أن ينال منه وهم وأهم أو جهل جاهل .

ولئن كنا فى عصر عكف على هواه ، وذهل عن أخراه ، وتنكر لربه ، أن  
ضير ذلك يقع على أم رأسه ولن يضر الله شيئا .

ووجوده تعالى من البدايات التى يدركها الإنسان بفطرته ، ويهتدى اليها  
بطبيعته ، وليس من مسائل العلوم المعقدة ، ولا من حقائق التفكير العويصة ،  
ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء ، واقترب المسافة جدا قد يعطل الرؤية ما  
اختلف على ذلك مؤمن ولا ملحد ( أفى الله شك فاطر السموات والأرض ) .

وقد جاءت الرسل لتصحيح فكرة الناس عن الألوهية ، فانهم وان عرفوا  
الله بطبيعتهم الا أنهم أخطأوا فى الاشراف به والفهم عنه .



والبيئة الفاسدة خطر شديد على الفطرة فهي تمسخها وتشرد بها وتخلف فيها من العلل ما يجعلها تعاف العذب وتسيف الفج ، وذلك سر انصراف فريق من الناس عن الايمان وقبولهم الكفر او الالحاد مع منافاة ذلك لمنطق العقل وأصل الخلقة .

وقد اقترنت حضارة الغرب التي تسود العالم اليوم بنزوع حاد الى المماراة فى وجود الله والنظر الى الاديان جملة نظرة تنقص ، او قبولها كمسكنات اجتماعية .

ولا شك أن المحنة التي يعانيتها العالم اليوم ، أزمة روحية منشؤها كفره بالمثل العليا التي جاء بها الدين ، فلا نجاة له مما يرتكس فيه الا بالعودة الى هذه المثل يهتدى اليها بفطرته كما يهتدى الجنين سبيله فى ولادته ، ومتى هدى العالم الى الفطرة هدى الى الاسلام فان الاسلام هو دين الفطرة .



ان الانسان لم يخلق نفسه ، ولم يخلق اولاده ، ولم يخلق الأرض التي يعيش عليها ، ولا السماء التي يستظل بها ، والبشر الذين ادعوا الالهية لم يكلفوا انفسهم مشقة ادعاء ذلك ، فمن المقطوع به ، أن وظيفة الخلق والابداع من العدم لم ينتحلها لنفسه إنسان ولا حيوان ولا جماد ، ومن المقطوع به كذلك أن شيئاً من ذلك لا يحدث من تلقاء نفسه فلم يبق الا الله .

« أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ، أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون » .

ولو دخل المرء داراً فوجد فيها غرفة مهيأة للطعام ، وأخرى للنمائم وأخرى للضيافة وأخرى للتنظافة لجزم بأن هذا الترتيب لم يتم وحده ، وأن هذا الأعداد النافع لا بد قد نشأ عن حكمة وتقدير وأشرف عليه فاعل يعرف ما يفعل .

والناظر فى الكون وآفاقه والمادة وخصائصها يعرف أنها محكومة بقوانين مضبوطة شرحت الكثير منها علوم الطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والطب ، وما وصل اليه علم الانسان من أسرار الكون حاسم فى ابعاد كل شبهة توهم أنه وجد كيفما اتفق .

« تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا . وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ) .

وهذه الكواكب السيارة التى تخترق اعماء الجو والتى تلتزم مدارا واحدا لا تنحرف عنه يمينا ولا يسارا ، وتلتزم بسرعة واحدة لا تبطئ فيها ولا تعجل ، ثم نرتقبها فى موعدها المحسوب فلا تخالف عنها ابدا .

هذه الكرات الفليضة الحجم . الحى منها والميت . المضى منها والمعتم معلقة لا تسقط . سائرة لا تقف . كل فى دائرته لا يعدوها ، وقد يصطدم المشاة والركبان على أرضنا وهم أهل بصر وعقل . . أما هذه الكواكب التى ترحم الفضاء فانها لا تزيع ولا تصطدم .

من الذى هيمن على نظامها وأشرف على مدارها ؟ بل من الذى أمسك بأجرامها الهائلة ودفنهما تجرى بهذه القوة الفائقة . . انها لا ترتكز فى علوها الا على دعائم القدرة .

**« ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا » .**

أما كلمة الجاذبية فدلالاتها العلمية كدلالة حرف ( س ) على المجهول . . انها رمز لقوانين تصرخ باسم الله ، ولكن الصم لا يسمعون .

ان وجود كل منا له بداية معروفة ، فنحن قبل ميلادنا لم نكن شيئا يذكر . **« هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا » .**

وعناصر الكون الذى نعيش فيه كذلك لها بداية معروفة ، وعلماء الجيولوجيا يقدرون لها أعمارا محدودة ، مهما طالعت فقد كانت قبلها صفرا . . وكان هناك ظن بأن المادة لا تنفى ، اعتهد عليه فريق من الناس فى القول بقدم العالم وما يتبع هذا القدم الموهوم من أباطيل . . على أن تفجير الذرة هدم هذا الظن ، ولو لم يتم تفجيرها ما قبلنا هذا الظن على أنه حقيقة ثابتة فان المفتاح الذى يفتح على العالم أبواب الفناء ليس من الضرورى أن يضعه الله فى أيدي العلماء . وعدم اهتداء الناس الى ما يدمر مادة الكون لا يعنى أن مادة الكون غير قابلة للدمار والفناء .

اننا جازمون بأن وجودنا محدث لأن تفكيرنا واحساسنا يهديننا لذلك ، وغير معقول أن يتطور العدم الى وجود تطورا ذاتيا .

انه اذا وقعت حادثة لم يدر فاعلها قيل أن الفاعل مجهول ، ولم يقل احد انه ليس لها فاعل ، فكيف يراد من العقلاء أن يقطعوا الصلة بين العالم وبين ربه . اننا لم نكن شيئا فكنا . . فمن كوننا ( قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ) +

□□□□

نشوء حياتنا هذه ودوامها يقومان على جملة ضخمة من القوانين الدقيقة يحكم العقل باستحالة وجودها هكذا جزافا ، فوضع الأرض أمام الشمس مثلا ، ثم على مسافة معينة لو نقصت بحيث ازداد قربها من الشمس لاحتقرت أنواع الأحياء من نبات وحيوان ، ولو بعدت المسافة لعم الجليد والصقيع وجه الأرض وهلك كذلك الزرع والضرع . . أفنظن اقامتها فى مكانها ذاك جاء خبط عشواء .

وحركة المد والجزر التى ترتبط بالقمر ، أما كان من الممكن أن يقترب القمر من أمه الأرض أكثر فيسحب أمواج المحيطات سحباً يغطى به وجه اليابسة كلها ثم ينحسر عنها وقد تلاشى كل شيء ؟

من الذى اقام القمر على هذا المدى المحدود ليكون مصدر ضوء لا مصدر هلاك .

اننا على سطح الأرض نستنشق الأوكسجين لنحيا به ونطرد الكربون الناشئ من احتراق الطعام فى جسامنا ، وكان ينبغى أن يستنفد الأحياء وما أكثرهم هذا العنصر الثمين فى الهواء فهم لا ينقطعون عن التنفس أبدا . . لكن الذى يقع أن النبات الأخضر يأخذ الكربون ويعطى بدله أوكسجين ، وبهذه المعاوضة الغريبة يبقى التوازن فى طبيعة الغلاف الهوائى الذى يحيا فى جوفه اللطيف الحيوان والنبات جميعا . أفنحسب هذا التوافق حدث من تلقاء نفسه ؟

اننى أحيانا أسرح الطرف فى زهرة مخططة بعشرات الألوان التقطها من بين مئات الأزهار الطالعة فى احدى الحدائق ، ثم أسأل نفسى : بأى ريشة نسقت هذه الألوان ؟ انها ليست ألوان الطيف وحدها . . انها مزيج رائع ساحر من الألوان التى تبدو هنا مخففة وهنا مظلمة وهنا مخططة وهنا منقطة .

وانظر الى أسفل الى التراب الأعفر انه بيقين ليس راسم هذه الألوان ولا موزع أصباغها . . هل الصدفة هى التى أشرفت على ذلك إن المرء يكون غيبسا جدا عندما يتصور الأمور على هذا النحو .

ان انشاء الحياة فى أصغر خلية يتطلب نظاما بالغ الاحكام ، ومن الحمق تصور الفوضى قادرة على خلق ( جزئى ) فى جسم دودة حقيرة فضلا عن خلق جهازها الهضمى والعصبى . فما بالك بخلق هذا الانسان الرائع البنيان الهائل الكيان . ثم ما بالك بخلق ذلك العالم الرحب ؟

ان العلم برئىء من مزاعم الإلحاد ومضاد لما يرسل من أحكام بلهاء . . الحق ان الإلحاد الذى يشيع بين طوائف المتحذلقين والمتنطعين لا يستند البتة الى ذرة من المعرفة او التفكير السليم .

محمد الغزالي

# نظرات في الحديث النبوي

٢

للدكتور محمد عبد الرؤوف

من الجبال ما كان أثقل علىّ مما  
أمروني به من جمع القرآن .

فمع أن القرآن كان قد كتب وقيّد  
في أثناء حياة الرسول صلوات الله  
عليه وبأمره فقد اعتبر أبو بكر وزيد  
جمع هذه الصحف القرآنية وترتيبها  
أمراً خطيراً تردداً في عمله حتى  
أقنعا وشرح الله صدرهما له ، وكذلك  
بدا للصحابة رضي الله عنهم أن تقييد  
الحديث وجمعه في شكل كتاب أو  
كتيب أو كتيبات أمر خطير ، فترددوا  
وأحجموا حتى تغير الحال وتبدلت  
الظروف حوالي العقد الثامن من القرن  
الأول الهجري حين تبدد الخوف على  
القرآن المجيد وخشى على ضياع  
الحديث بذهاب حفظته من الرعييل  
الأول ، ومست الحاجة لدراسته  
وتمييز السليم من الدخيل منذ اشتدت  
الخصومات وكثرت الفتن واستخدم  
الحديث في الجدل وسعت كل فرقة  
لتجد في السنة ما يؤيد رأيها ويدحض  
موقف خصومها .

تحدثنا في المقال الثاني من هذه  
السلسلة عن المرحلة الأولى من  
مراحل تدوين الحديث الشريف ،  
وسميناها « مرحلة الصحيفة » ،  
وذكرنا أن الصحابة وكبار التابعين  
ترددوا أمداً طويلاً في شأن تدوين  
الحديث ، فقد كان يدفعهم لكتابته  
رغبتهم في الحفاظ عليه والانتفاع  
بالمكتوب في تأييد الذاكرة ، غير أن  
تخوفهم مما قد يترتب على الكتابة  
من أثر على القرآن الكريم ومكانته  
الغذوة جعلهم يحجمون عن كتابة  
الحديث لغرض التداول ، ثم إن  
الصحابة على العموم كانوا يتحرجون  
من فعل لم يعهد عمله على عهد  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
واننا لنذكر كيف أن الصديق وزيد بن  
ثابت رضي الله عنهما تردداً في شأن  
جمع الصحف القرآنية التي كانت  
كتبت على عهد صلى الله عليه وسلم  
حتى قال زيد : « لو كلفوني نقل جبل

على أننا نعتقد أن هذا التحول لم يحدث فجأة بل تدرج مع الزمن ، لذلك نجد أنه كان لبعض الصحابة والتابعين صحف ترجع الى تاريخ مبكر ، كالصحيفة الصادقة المنسوبة لعبدالله ابن عمرو بن العاص الذى قبض عام ٦٣ هـ ، وكصحيفة همام بن منبه التى اقتبسنا صدرها من قبل وذكرنا أن كتابتها كانت قبل وفاة شيخه أبى هريرة عام ٥٨ هـ .

وإذا وصفت صحيفة همام بن منبه بأنها أقدم تأليف فى الحديث فلا يعنى ذلك أنها سبقت كتابتها كتابة غيرها من الصحف المنسوبة الى الصحابة رضوان الله عليهم ، ولكن المقصود انها أقدم تأليف بقيت منه نسخ مستقلة وصلت اليها ككتاب مستقل بصرف النظر عن كونها قد استوعبت فى المسانيد والصحاح التى جمعت بعد ذلك ، فالصحيفة الصادقة لا نعرف منها الآن نسخة مستقلة بذاتها ككتاب أو كتيب مؤيد بالسند ، وإن هى استوعبت فى الكتب الكبرى كما استوعبت صحيفة همام ، ولكن قد تكشف البحوث والجهود عن وجود مخطوطات لصحف قديمة أخرى ، وقد عثر فعلاً على صحيفة تنسب لصحابى آخر هو نبيط بن شريط الأشجعى الكوفى ورواها عنه ابنه سلمة الذى يعتبر من الثقات ، ويقال انه توجد نسخة منها فى مكتبة الظاهرية بدمشق وأخرى بدار الكتب بالقاهرة (٢) ، فإذا صح نسبتها فهى من أقدم الصحف الباقية .

\*\*\*

ولنعد الآن الى النص الذى اقتبسناه فى الحلقة الثانية من هذه المقالات ، من صحيفة همام بن منبه ، ولنلق نظرة على الطريقة التى أوصل

ولنستطرد قليلاً فنسوق مثلاً واحداً لبيان أهمية الحديث فى هذا الصدد ، وهو ما رواه مسلم فى أول صحيحه عن حميد بن عبد الرحمن قال : « كان أول من قال فى القدر بالبصرة معبد الجهنى ، فأنطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حاجين أو معتمرين ، فقلنا لو لقينا واحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول فى القدر ، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخل المسجد ، فأكثفته أنا وصاحبى أحداً عن يمينه والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبى سيكل الكلام الىّ فقط : أبى عبد الرحمن ، انه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتفقرون العلم ، وذكر من شأنهم وانهم يزعمون أن لا قدر وإن الأمر انى ، قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم انى برئ منهم وأنهم برآء منى ، والذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم ملء الأرض ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ، ثم قال : حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال : « وساق ابن عمر الحديث الذى يذكر فيه رجل طلع وجلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسند ركبته الى ركبته ، وسأله عن الاسلام والايمان والاحسان ، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تعريف الايمان : « وتؤمن بالقدر خيره وشره » (١) .

وبينما لجأ المخلصون الى السنة يستضيئون بهديها ويستمدون من نورها ، عمد بعض أهل الزيغ الى الابتكار فنسبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقله ، وهكذا تعددت الأسباب المقتضية لتدوين الأحاديث وارتفعت الموانع ورأى الصحابة وكبار التابعين أنه لم يبق مبرر للتردد ، فصح عزهم على تقييد العلم .

بها همام أحاديثه الى النبي صلى الله عليه وسلم :

يقول همّام : « هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وساق الأحاديث الأولى فالثاني فالثالث ، وهكذا ، فاصلا بينها بمثل هذه الكلمات » . « وقال صلى الله عليه وسلم » أو : « وقال أبو القاسم » .. وهكذا .

فلم يبدأ همّام قائلا : « قال النبي صلى الله عليه وسلم » ولكن ذكر ما يدل على أنه تعلم هذه الأحاديث من شيخه أبي هريرة الصحابي وتلقاها عنه ، فأبو هريرة هو طريقه الى الرسول وسنده الذي اعتمد عليه في معرفة الحديث ، لذلك يسمى ذكر الراوى أو مشايخه الذين تعلم الحديث عن طريقهم : « سندا » أو « إسنادا » وغلب استعمال الاصطلاح الثانى وهو « الإسناد » .

وحيث ان عهد همّام كان قريبا من عهد رسول الله ولم يكن بينه وبين صاحب الحديث صلى الله عليه وسلم الا جيل واحد فان إسناده مكوّن من ذكر معلم واحد وهو الصحابي ، ولكن اذا نزل الراوى زمنا وكان بينه وبين المصطفى عدد من الاجيال فان سلسلة الإسناد تمتد وعدد حلقاته تتعدد ، فأبو بكر القطيعى ، راوى الصحيفة كما وردت بمسند أحمد بن حنبل — بعيد العهد من رسول الله (٣) ، لذلك نجد اسناده طويلا نسبيا ، فهو يروى عن شيخه عبد الله ابن أحمد ، وعبد الله هذا يروى عن شيخه وأبيه الامام ، ويروى الامام أحمد عن شيخه عبد الرزاق ، وهو بدوره يروى عن معمر ، فعن همّام ابن منبه ، فعن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكل من حلقات هذه السلسلة فوق القطيعى شيخ لمن دونه وراو عمّن فوقه ، والشيخ أو المعلم الأول هو النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد يكون صحابيا اذا كان لفظ الحديث له كأن يقصّ شيئا عن أحوال الرسول أو يذكر فعلا من أفعاله عليه الصلاة والسلام .

وعليه ، فالإسناد هو سلسلة المحدثين الذين يروى الراوى حديثه عن طريقهم سواء قلّ عددهم أو كثر ، وقد يتصل هذا الإسناد وقد ينقطع كما سنشرحه فيما بعد ان شاء الله .

وفى تقديم الحديث بذكر اسناده أمانة على صحة نسبة الحديث الى صاحبه عادة ، وتمكين للباحث من معرفة درجة هذه الصحة بناء على ما يثبته البحث من درجة ضبط رواياته الواردة أسماؤهم فى الإسناد ومبلغ عدالتهم ، وفيه كذلك وقاية من خطر الكذابين والوضاعين ، فلو لم يكن هناك اهتمام بالإسناد وسمح لمن يرغب فى التحديث أن يكتفى بقوله : « قال عليه الصلاة والسلام » : لكان الأمر أسهل وأيسر على الوضاعين دون أن ينكشف أمرهم أو يفتضح غشهم ، لذلك كان الإسناد — وهو مما ميز الله به هذه الأمة — أمرا من أمور الدين ، وقد روى مسلم فى مقدمة صحيحه أن عبد الله بن المبارك كان يقول : « الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء » وروى أيضا فى نفس المقدمة أن محمد ابن سيرين قال : « ان هذا العلم ( الحديث ) دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم » .

ويمكننا أن نستنبط من استعمال همّام بن منبه الإسناد فى رواية صحيفته — ويغلب أنه حررها فى



ومن المهم أن نلفت النظر الى أن المواظبة على الاتيان بالاسناد كان شأن الحديثين ، وهم العلماء المعنيون برواية الحديث واثباته بصرف النظر عن مغزاه وأهميته ، فالاسناد كان لذلك هاما دائما بالنسبة اليهم أما الفقهاء ، والمفسرون وأصحاب السير فان عنايتهم كانت منصرفة نحو دلالة الحديث في القرينة التي يساق لها ، لذلك كان هؤلاء يأتون بالاسناد أولا يأتون به ، وقد يقتبس أحدهم الحديث مرات في مواضع مختلفة . فيأتي بالحديث مسندا في موضع ثم يسوقه دون اسناده في المواضع الأخرى ، وليس ذلك شأن الحديثين .

ولقد حاول بعض الغربيين من المستشرقين أن ينال من الاسناد ويثير حوله الشبه ليسيء الى الحديث نفسه باثارة الشك في صحته ، كما خاض بعضهم في شأن القرآن الكريم وتاريخه ولكن الله رد كيدهم في نحورهم ، يزعم هؤلاء أن الأسانيد استحدثت مؤخرا ، وأن محدثي القرنين الثاني والثالث ابتدعوها من عند أنفسهم ورفعوها من راو الى آخر حتى تصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كي يوهوا بها صحة أحاديثهم ويؤيدوا بها دعاواهم ، وهذا زعم لا يقوم على أساس صحيح ولا على دليل معتمد ، وإنما هو حدس وتخمين ورمى بغير حق يصاغ في أسلوب قد يؤثر على خالي الذهن ممن يجهل شأن الحديث ودقة رواته وإمانيته ، ولقد رأينا صحفا قديمة يرجع تاريخها لمنتصف القرن الأول وفيها رويت الأحاديث بأسانيد ، كما أننا نجد أحاديث كثيرة روى الواحد منها بأسانيد مختلفة ، وينتفى الرواة في الأسانيد الى فرق متباينة ولا يتأتى أن يتفق هؤلاء الرواة على اختلاق

منتصف القرن الأول من الهجرة — أن استخدام الاسناد عند رواية الحديث كان مبكرا ، ويبدو أن هذا كان أمرا طبيعيا ، فالراوي يحدث عن صاحب المقام الجليل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا روعة واحساس عاطفي بليغ ، فالراوي من شأنه في مثل هذا الموقف المهييب أن يتذرع بذكر سنده وطريقه الى الرسول فيدغم دعواه بذكر مصدرها ويلتمس الكرامة بذكر اسم شيخه وخاصة اذا كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لذلك نعتقد أن الاسناد نشأ طبيعيا ثم نما وتطور ، ثم لما أساء البعض استخدام الحديث وتجاسر الملحدون على الوضع والكذب تعمد المحدثون الصادقون التأكيد على الاسناد والاهتمام بشأنه ، لذلك نقرا لمحمد بن سيرين فيما رواه مسلم وغيره : « لم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم ، فينظر الى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم » . ولا يعنى ابن سيرين الذى عاش في النصف الثاني من القرن الهجرى الأول وتوفى عام ١١٠ هـ ، أن الاسناد لم يكن مستعملا أول الأمر ثم مست الحاجة اليه عند ظهور الفتن ، بل قد كان الاسناد مستعملا في رواية الحديث قبل ذلك حتى أننا نجده في حالة رواية الصحابي عن صحابي آخر ، ولكن المعنى — على ما نعتقد — أن الانتباه أول الأمر كان منصرفا الى نص الحديث وفحواه فلما حدثت الفتن وجه جزء كبير من العناية الى الاسناد وفحص حال رجاله للنظر في درجة الحديث من الصحة والقبول أو غير ذلك .

على الشيخ من الذاكرة أو من كتاب بيده ، فيقر الشيخ ما قرأ عليه ويجيز القارئ وزملاءه الحاضرين للقراءة ما قرأ عليه بحضرتهم ، وهذه طريقة هامة معتبرة أيضا وإن كانت تعتبر دون سابقتها .

الطريقة الثالثة : « الاجازة » وهي أن يجيز الشيخ تلميذه برواية نص أو أكثر أو يمنحه رخصة برواية ما تحتوى عليه كراسة أو كتاب أو جزء معين منه ، ولكن لا بد أن يكون المجاز به معينا وأن يكون المجاز له من الثقات الماهرين ، وعلى كل حال فالاجازة أدنى منزلة من طريقي السماع والقراءة .

والطريقة الرابعة : « المناولة » ومعناها أن يناول الشيخ مريده كتابا على سبيل التمليك أو الاستعارة لينقل منه ويجيز له روايته وهي طريقة سائغة في تحمل الحديث حتى أن بعضهم يرفعها لدرجة السماع ولكن المرجح أنها دون السماع والقراءة .

والطريقة الخامسة تسمى : « المكتبة » ، وذلك أن يكتب الشيخ لتلميذه حديثا أو أحاديث ويبعث لتلميذه بالمكتوب أو يسلمه إياه إذا كان حاضرا ويجيزه بروايته ، ويقدم الرواي الذي تحمل بهذه الطريقة حديثه بعبارة « كتب الى » أو « من كتاب » .

والطريقة السادسة من طرق تحمل الحديث تسمى : « الاعلام » ومعناها أن يعلم الشيخ تلميذه أن حديثا ما أو أن عددا من الأحاديث من مروياته أو أنه سمعها أو يرويها عن فلان ، ثم يسيغ له روايتها .

والطريقة السابعة تسمى : « الوصية » وهي طريقة عجيبة يوصي

الأسانيد لما كان بينهم من جفوة وشقاق ، أضاف الى ذلك أن الرواة الذين بدأت بهم هذه الأسانيد كانوا يعيشون في أمصار متفرقة واقطار متباعدة لا يعرف الكثير بعضهم بعضا ومع ذلك فقد يروى عدد منهم الحديث الواحد متفق المعنى واللفظ أو متفق المعنى مع اختلاف لفظي يسير ، وهذا شأن كثير من الأحاديث الشريفة ، ولا يتصور مع التفرق وبعد الديار وعدم معرفة بعضهم البعض الآخر أن يتفقوا على الاختلاق والكذب ثم تأتي أسانيدهم بنصوص حديثة متفقة ومعان منسجمة متناسقة . « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ! »

ويجمل بنا وقد فرغنا من تعريف الاسناد وشرح ثمراته واكدنا قدم استعماله أن نتحدث الآن عن الطريقة أو الطرق التي تلقى بها الرواة الأحاديث عن شيوخهم ، وهذا موضوع هام لأن نوع الطريقة التي تلقى بها الراوى الحديث قد تؤثر على درجته من الصحة والسلامة . لذلك عن رجال الحديث بدراسة هذا الموضوع ، واطلقوا عليه : « تحمل الحديث » ، أي تعلمه وطريقة تلقيه من الشيخ أو المعلم .

يقول العلماء ، أن هناك طرقا ثمانية لتحمل الحديث ، أولها وأعلىها طريق « السماع » ويلعب فيه المعلم الدور الهام فيلقى بالمعلم على طلابه وهم يسمعون ليعوا في ذاكرتهم أو ليقابلوا على ما في كتاب بأيديهم أو ليجزوا من أملائه بكراساتهم ، وهذا أقدم الطرق وأقربها الى الطبيعة ، وقد كان طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم في تعليم صاحبه رضوان الله تعالى عليهم .

الطريقة الثانية تسمى « القراءة » أي القراءة على الشيخ ، يقرأ التلميذ

فيها الشيخ بكتاب له ليكون لآخر عند موته ويروى عنه منه ، وانما يسوغ للتلميذ رواية ذلك اذا نص على أن تحمله كان عن طريق الوصية .

والطريقة الثامنة والأخيرة تسمى « الوجادة » بكسر الواو ، ومعناها أن يجد الراوى كتابا صحيح النسبة لصاحبه لكنه لم يسمعه منه ولم يقرأه عليه ولم يناوله اياه ولم يجزله روايته ولا كاتبه بشأنه ، وليس للراوى أن يروى من ذلك الا بالنص على أنه وجد كذا بخط فلان ، كما كان يصنع عبد الله بن أحمد أحيانا فيقول : « وجدت بخط أبى كذا » ويسوق الحديث .

وقد اتفق العلماء على جواز رواية الراوى مما تلقاه بالمناولة أو المكاتبة أو الاعلام أو المكاتبة مجردة عن الاجازة الشيخ للتلميذ برواية ما ناوله اياه أو كاتبه عنه أو أعلمه به ، واختلفوا فى جواز الرواية اذا كانت المناولة أو الاعلام أو المكاتبة مجردة عن الاجازة والواقع أن العلماء — رحمهم الله — أفاضوا فى دراسة طرق التحمل وشرح تفاصيلها وما يترتب على كل منها من جواز الرواية أو عدمه ، وأرجع أن ثبوت الى ما كتبه ابن الصلاح مثلا بشأن ذلك فى مقدمته المسماة « علوم الحديث » ، مما يعكس حرص العلماء البالغ على سلامة الحديث ودقة التحرى فى تلقيه وروايته .

وقد اهتم العلماء ايضا بضبط العبارات وتحديد الألفاظ التى يستعملها الراوى للدلالة على تلقيه ما يرويه عن شيخه ، فكان لا بد أن تتناسب مع الطريقة التى تحمل بها الحديث عنه ، فإذا كان التحمل بطريق « السماع » فله أن يقول : « سمعت

فلانا يقول أو يحدث » مثلا أو « حدثنا فلان » أو « حدثنى » ، ويختلف الضمير على حسب ما اذا كان قد سمع وحده أو مع غيره . وإذا كان نوع التحمل « القراءة » فللراوى أن يقول : « قرأت » أو « قرأنا عليه » أو « أخبرنا » أو « أخبرنى » . وهذا التفصيل هو اصطلاح المحدثين المتأخرين ، وأما الأقدمون فانهم أجازوا استعمال لفظ التحديث والإخبار فى كل من حالتى السماع والقراءة . ومن الألفاظ التى استعمالها الرواة فى حال القراءة : « نبأنا » و « أنبأنا » ولكن كان ذلك نادرا نسبيا . وقد سوغوا للراوى فى حال التحمل بالاجازة أو المناولة أن يستعمل لفظ « أخبرنى » ، كما أن له أن يستعمل لفظ « أجازنى » فى حال الاجازة . ولفظ « ناولنى » فى حال المناولة .

ولنلق نظرة الآن — على ضوء ما تقدم — على الاسناد الذى رويت به صحيفة همام بن منبه ، وفيه قال أبو بكر القطيعى ما يلى :

« حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى ( أى الامام أحمد صاحب المسند ) ، ثنا ( أى حدثنا ) عبد الرزاق بن همام ثنا معمر ، عن همام بن منبه ، قال : هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . »

نرى أن كل الرواة فى هذا السند — ما عدا معمر بن راشد — يستعملون لفظ « حدثنا » أو « حدثنى » وهذا يعنى أن كلا من هؤلاء تحمل أحاديث الصحيفة سماعيا أو قراءة على الأقل اذا كانوا ممن يستسيغون استعمال لفظ التحديث فى حال التحمل بالقراءة ، أما معمر فقد اتصل بهمام فى هذا السند بلفظ « عن » ،

الصادرة بدمشق عام ١٩٥٣م (٥) ، وهو كما يلي :

« **هدّثنا** الشيخ .. أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المسعودي .. بقراءته علينا من أصل سماعه .. في السادس والعشرين من ذي القعدة سنة ٥٧٧ هـ ، قال : **أخبرنا** الشيخ .. أبو الخير محمد بن أحمد الاصبهاني قراءة عليه وأنا أسمع ، قال : **أخبرنا** اسحق قال : **أخبرنا** أبو بكر محمد ابن الحسين القطان . قال : **هدّثنا** أبو الحسن أحمد بن يوسف البسلي قال : **هدّثنا** عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري ، عن همام بن منبه ، قال : هذا ما **هدّثنا** أبو هريرة عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : .. »

وبالتأمل نلاحظ ما يلي :

**أولا :** يلتقي السندان في عبد الرزاق بن همام الحميري ، فيشتركان في الرواية عنه ، ثم عن معمر بن راشد ، فعن همام بن منبه صاحب الصحيفة ، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعليه فقد سمع الإمام أحمد الصحيفة من عبد الرزاق كما وردت في مسنده ، وسمعها منه أيضا أبو الحسين البسلي كما وردت في النسخة الدمشقية ، وبالرغم من تعدد الأسانيد فإن النصوص الحديثية في النسخة الدمشقية والنسخة الألمانية التي اطلع عليها الدكتور حميد الله ونسخها ، وفي مسند الإمام أحمد وكما وردت متفرقة في كتب الصحاح متفقة تماما الا فيما ندر مما فقد يحدث نتيجة التصحيف أو السهو اليسير ، وهذا الاتفاق العجيب في نصوص النسخ المروية عن هذه

وحرف الجر هذا كثيرا ما يرد في الأسانيد ، ويوصف في هذه الحالة بكونه « **مُعْتَمَداً** » ، والعنعنة تتضمن معنى الاجازة ، ولكنها تحتمل في نفس الوقت أن الراوي لم يسمع مباشرة من الشيخ الذي يرد اسمه بعد حرف الجر بل قد يكون قد تلقاه عن شيخ هو أحد رواة الشيخ المذكور . وحيث سقط اسم هذا الراوي من الاسناد فلا يمكن الحكم على مبلغ عدالته أو درجة ضبطه ، لذلك اشترط الإمام مسلم — كما سنفصله فيما بعد — أن يكون الراويان في الحديث المعنعن قد تعاصرا حتى يمكن لقاؤهما وتلقي أحدهما من الآخر ، وتشدد الإمام البخاري فاشترط أن يثبت لقاؤهما .

ولكننا نعلم في حال همام بن منبه ومعمر بن راشد أنهما تعاصرا ، فقد ولد أولهما في ٤٠ هـ وتوفي عام ١٣١ هـ على الأظهر ، وولد معمر عام ٩٦ هـ وتوفي عام ١٥٣ أو ١٥٤ هـ ، كما ثبت أن معمر بن راشد كان أشهر تلاميذ همام بن منبه ، وأنه سمع من همام بعض الصحيفة وقرا عليه بعضها الآخر ، حيث صاحبه معمر بعد أن كبر سنه وسقط حاجباه على عينيه ، ولقد قرأ همام على معمر حتى إذا ملّ أخذ معمر الصحيفة فقرأ الباقى (٤) .

وحيث فرغنا من التعليق على إسناد صحيفة همام الوارد في مسند الإمام أحمد . يحسن بنا أن نقارن بينه وبين اسناد الصحيفة نفسها الوارد في النسخة الدمشقية التي يرجع تاريخها الى القرن السادس الهجري والتي عالجها الدكتور محمد حميد الله ونشرها في المجلد الثامن والعشرين من مجلة « المجمع العلمي

الصحيفة وأمثالها يرد على طمعون الذين يطعمون في الحديث جملة متشدقين باختلاف الروايات في عدد من الأحاديث ، مما نرجو أن نتعرض له تفصيلا إن شاء الله .

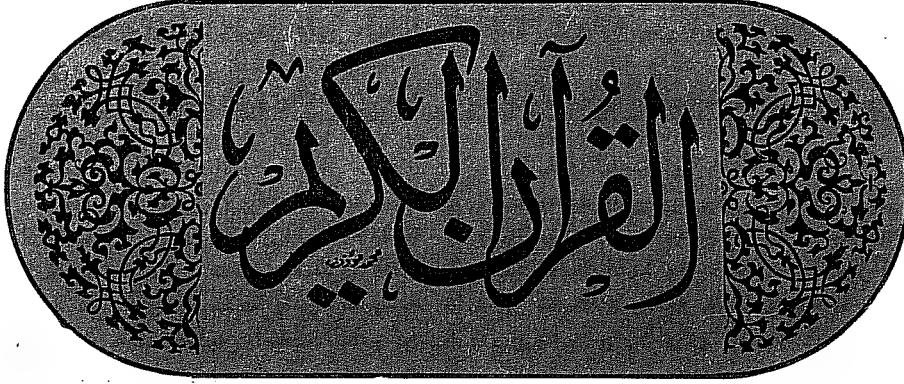
**ثانياً :** يفرق رواية النسخة الدمشقية بين استعمال لفظ «حدثنا» ولفظ «أخبرنا» ، فيستعملون اللفظ الأول في حال السماع من الشيخ نفسه ، ويستعملون اللفظ الآخر في التحمل بالقراءة عليه بذلك يروى صاحب هذه النسخة عن شيخه المسعودي بلفظ «حدثنا» ثم يؤكد تحمله سماعاً بقوله : «بقراءته علينا من سماعه» ، ويروى المسعودي «عن شيخه أبي الخير بلفظ «أخبرنا» ثم يؤكد أن تحمله كان بطريق القراءة قائلاً : «قراءة عليه وأنا أسمع» ، أى أن أحد زملاء المسعودي قرأ على الشيخ أبي الخير بحضرة المسعودي واصفاً لما قرئ على الشيخ .

**ثالثاً :** واشترك السندان في لفظ الرواية عن عبد الرزاق ، وهو : «حدثنا» ، وفي لفظ الرواية عن همام بن منبه ، وهو : «عن» وفي

لفظ الرواية عن أبي هريرة وهو : «حدثنا» ، ولكنها اختلفت في لفظ الرواية عن معمر — فهو في إسناد المسند : «حدثنا» وفي إسناد النسخة الدمشقية لفظ «عن» . فلعل عبد الرزاق روى الصحيفة أكثر من مرة على تلاميذه ، مرة سمعها منه الإمام أحمد وفيها عبر عبد الرزاق عن تحمله من معمر بلفظ «حدثنا» ، ورواها مرة أخرى سمعها منه أبو الحسن السلمي وفيها عبر عن تحمله من معمر بلفظ «عن» . على أن التعبير بلفظ «عن» هنا لا ينفي التحمل بالسماع أو بالقراءة بل يحتملها أو أحدهما ، وقد ثبت أن عبد الرزاق عاصر معمرًا وصاحبه وتلمذ عليه سبع سنوات (٦) ، وقد ولد عبد الرزاق سنة ١٢٦هـ وتوفي عام ٢٦١هـ عن خمسة وثمانين عاماً ، وولد معمر سنة ٩٦هـ وتوفي عام ١٥٣هـ . فتحقق بذلك شرط كل من الإمامين مسلم والبخاري ، وعليه فإسناد الصحيفة متصل ، وتحملها رواها بطريق السماع أو القراءة ، والله أعلم بالصواب .

- (١) وحيث قبض عبد الله بن عمر رضى الله عنهما في ٧٢هـ — وهو الإصح — وقيل في ٧٤هـ . فان هذا الحديث يدل على أن فرقة القدرية كانت قد نشأت واحتدت أزمعتها قبل هذا التاريخ ، ويبدو أن تفاقم الأمور بمقتل الشهيد الإمام الحسين ثم حرق الكعبة عام ٦٤هـ قد أحدث صدمات عنيفة في نفوس المسلمين جعلتهم يتساعلون عن شأن القدر في مثل هذه الأحداث التي ما كانت تتصور فنشأ الكلام في القدر ، فكان المنكر ليسد الباب على الآثم فلا يعتذر بتدخل القدر في عمله . وكان هناك المنبذ دون القول بالجبر ، كما كان هناك من بالغ فقال بالجبر ورفع المسئوليات عن العباد .
- (٢) «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين ، الجزء الأول (القاهرة ١٩٧١) ، ص ٢٥٥ .
- (٣) توفي أبو بكر القطيعي عام ٣٦٨هـ .
- (٤) «تاريخ التراث الإسلامي» (الجزء الأول) ص ٢٥٦ ، و «مجلة المجمع العلمي» دمشق ، (المجلد ٢٨ ، الجزء الأول) ص ١١٢ .
- (٥) «مجلة المجمع العلمي» دمشق ، (المجلد ٢٨ ، الجزء الثاني) ص ٢٧٠ — ٢٨١ — والجزء الثالث ص ٤٤٣ — ٤٦٧ .
- (٦) «تذكرة الحفاظ» لشمس الدين الذهبي (الجزء الأول) ص ٣٣١ .

# لغة



## مشكلات الفواصل (٣)

للدكتور : على محمد حسن

ومما اشكل على الدارسين من الفواصل ما جاء في قوله تعالى : « **إِن اللّٰهَ يَمْسِكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهٗ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** » فقد وقع في بعض الأوهام أن يكون التذييل في هذه الآية : « **إِنَّهٗ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا** » أو ما إلى ذلك ، أي أنه كان المناسب — على ما توهموا — ذكر القدرة لا ذكر الحلم والغفران .

وقد أجاب بعض المفسرين بأن هؤلاء المشركين كانوا يستحقون إسقاط السماء عليهم ، وخسف الأرض بهم ، ولكن الله سبحانه حلیم غفور فلم يعاجلهم بالعقوبة ، واستأنسوا في هذا الموضع بقوله تعالى : « **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا اَدْبًا . تَكَادُ السَّمٰوٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُ الْجِبَالُ هَدًا . إِنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا . وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا** » (١) . ولكن المتأمل في الآية الكريمة لا يجد إشارة إلى ما ذكره المفسرون ، فليس في هذه الآية ، ولا في الآيات التي سبقتها ما يشير إلى أن الكفار يستحقون العذاب بإسقاط السماء أو بخسف الأرض ، على أن ذلك إذا كان حلما فلمن يكون الغفران . . ؟

الذين تحدثت عنهم الآية السابقة ، والذين يستحقون العقوبة بإسقاط السماء أو خسف الأرض : « **قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰوٰتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَحْدِثُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا** » . أم لغيرهم ممن لم يرد لهم ذكر في الآيات السابقة واللاحقة ؟

وربما صح أن نقول أن إمساك السموات والأرض إبقاء لنعم الله على الخلائق ، وإبقاء للجنس البشري الذي لا بد وأن تقع منه المعاصي ، فالله حلیم يبقى العاصين يتمتعون بهذه النعم التي اشتملت عليها السموات والأرض ، والتي



لا يستطيع أحد غيره أن يحتفظ بها ، والله غفور يغفر لهؤلاء العصاة ما يقع منهم من الذنوب ما عدا الشرك ، كما جاء في آية أخرى : « **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** » .

ولا يزال الملحق الذي لاحظته في الآيات السابقة متجها هنا في هذه الآية الكريمة ، على أن ذكر القدرة هنا يغني عنه ما جاء في الآيتين الكريمتين ، فالقرآن يتحدى هؤلاء الذين أشركوا أن يدلوه على ما خلق شركاؤهم من الأرض ، وأن يدلوه على كتاب أنزل إليهم فهم على بينة منه ، ويؤكد لهم أن الله سبحانه هو — وحده — الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ، فكان الآية جاءت بشيء جديد حين ختمت بالحلم والمغفرة ، حتى يفكر الدارس للقرآن ، وبطيل التفكير يعرف ما أشارت إليه الآية ، ولا يكتفى بالنظر العابر .

♦ ♦ ♦ ♦ ♦

ومن الفواصل المشكلة ما جاء في سورة الملك :: « **أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن أنه بكل شيء بصير** » ، فربما توهم أن الأولى أن تختتم الآية — مثلا — ( إنه على كل شيء قدير ) ولكن التأمل الواعي يحكم بأن ختم الآية يجب أن يكون ما عليه التلاوة ، ذلك أن ذكر الصف والقبض هنا يدل على الصفتين اللتين يكون عليهما الطير في طيرانه ، وخلق الطير على الصف والقبض ، وتزويده بما يصلح لكل منهما ، وإيجاد الأجزاء الدقيقة في جسمه التي تمكنه من الطيران والوقوع ، والهامة كيف يصف ويقبض ، وكيف يطير ويقع كل ذلك لا يكون إلا من ( بصير ) عالم بدقائق الأمور وجلائلها ، وبكيفية أبداع المبدعات :: « **الذي يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير** » .

وقد ذكر الفخر الرازي سؤالا وأجاب عنه ، قال : ( انه تعالى قال في النحل ) : « **ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله** » . وقال هنا : « **ما يمسكهن إلا الرحمن** » . فما الفرق ؟ قلنا : ذكر في النمل أن الطير مسخرات في جو السماء ، فلا جرم كان إمساكها هناك محض الإلهية ، وذكر ههنا أنها صافات وقابضات فكان إلهامها إلى كيفية البسط والقبض على الوجه المطابق للمنفعة من رحمة الرحمن ) .

♦ ♦ ♦ ♦ ♦

وقد تتحد آيتان أو أكثر وتختلفان في التذييل ، وقد يكون التذييل واحدا والآيتان مختلفتان قبله .

مثال النوع الأول قوله تعالى : « **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** » جاء تذييلها في سورة ( إبراهيم ) : « **إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** » وفي سورة النحل : « **إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** » .

قال الزركشي في البرهان : ( من بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين في موضعين ، والمحدث عنه واحد لنكتة لطيفة ) . وبعد أن ذكر الآيتين السابقتين قال : ( قال القاضي ناصر الدين ابن المنير ( م ٦٨٣ هـ ) في تفسيره الكبير ( البحر الكبير في نخب التفسير ) : كأنه يقول : إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت أخذها ، وأنا معطيها ، فحصل لك عند أخذها وصفان : كونك ظلوما ، وكونك كفارا ، ولي عند إعطائها وصفان ، وهما : أني غفور رحيم ، أقابل ظلمك بغفراني ، وكفرك برحمتي ، فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير ، ولا أجازي جفائك إلا بالوفاء . انتهى .

وهو حسن ، لكىبقى سؤال آخر — هكذا يقول الزركشى — وهو :  
ما الحكمة فى تخصيص آية النحل بوصف المنعم ، وآية إبراهيم بوصف  
المنعم عليه .

والجواب : أن سياق الآية فى سورة إبراهيم فى وصف الانسان ، وما جبل  
عليه ، فناسب ذكر ذلك ، عقيب أوصافه ، وأما آية النحل فسيقت فى وصف  
الله تعالى ، وإثبات الوهيته ، وتحقيق صفاته ، فناسب ذكر وصفه سبحانه .  
فتأمل هذه التراكيب ، ما أرقاها فى درجة البلاغة ! انتهى كلام الزركشى .  
وقد ذكر الفخر الرازى عند تفسيره آية إبراهيم : انه تأمل الفرق بين آيتى  
إبراهيم والنحل ، وأنه لاحظ له دقيقته ، ثم ذكر ما نقله الزركشى عن ابن المنير ،  
فالكلام للرازى ، وقد نسب لابن المنير ( توفى الرازى سنة ٦٠٦ هـ أى قبل ابن  
المنير بزهاء ثمانين سنة ) .

♦ ♦ ♦ ♦ ♦

ومثاله أيضا ما جاء فى سورتي الجاثية وفصلت : « من عمل صالحا فلنفسه  
ومن أساء فعليها » ، وقد ختمت آية الجاثية بقوله سبحانه : « ثم الى ربكم  
ترجعون » وختمت آية فصلت بقوله — علت كلمته — : « وما ربك بظلام  
للعبيد » .

وقد أجاب صاحب البرهان بأن الختام فى الآية الثانية مناسب ، أما فى  
الأولى فحكته أن قبلها : « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى  
قوما بما كانوا يكسبون » . فناسب الختام بفاصلة البعث ، لأن قبله وصفهم  
بانكاره .

♦ ♦ ♦ ♦ ♦

وقد أورد الزركشى فى هذا المقام آيات سورة المائدة : « ومن لم يحكم بما  
أنزل الله » حيث ختمت الأولى بـ « فاولئك هم الكافرون » والثانية بـ  
« فاولئك هم الظالمون » والثالثة بـ « فاولئك هم الفاسقون » ، وذكر لذلك بعض  
الأسرار ، ثم قال ( وقيل الكافر والظالم والفاسق كلها بمعنى واحد ، وهو الكفر .  
عبر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة ، واجتناب صورة التكرار ) .  
والذى يعيننا من هذا القول أن من العلماء من أجاز تفنن القرآن الكريم  
فى التعبير لاجتناب صورة التكرار .

♦ ♦ ♦ ♦ ♦

ومثال النوع الثانى قوله تعالى فى سورة النور : « ياايها الذين آمنوا  
ليستأنفكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات .... »  
الى قوله تعالى : « كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم » وقوله سبحانه  
بعد هذه الآية « واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأنفوا كما استأنف الذين من  
قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم » .

وقد فسر ابن عبد السلام — فى الأولى — : ( عليم ) بمصالح عباده ( حكيم )  
فى بيان مراده . وفى الثانية : ( عليم ) بمصالح الأنام ( حكيم ) ببيان الأحكام .  
قال الزركشى بعد أن نقل هذا التفسير : ولم يتعرض للجواب عن حكمة  
التكرار . ولم يزد الزركشى على ذلك .  
قلت : ولم نستفد شيئا لا من ابن عبد السلام ولا من الزركشى . أما ابن

عبد السلام فلم يتعرض لمناسبة هذين الوصفين لكل من مضمون الآيتين ، ولعله ظن أن المناسبة واضحة .

وأما الزركشي فقد عاب صاحبه بأنه لم يتعرض لحكمة التكرار ، وسكت هو عن هذه الحكمة .

وقد ذكر أبو السعود أن التكرير للتوكيد ، والمبالغة في الأمر والاستئذان . ويصح أن يقال أن موضوع الآيتين واحد ، وهو بيان آداب الاستئذان ، غير أنه في الأولى ذكر استئذان الموالى والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم ، والأوقات التي ينبغي استئذانها فيها ، وما عداها فليس على الجميع جناح إذا لم يقع استئذان ، وفي الآية الثانية ذكر استئذان الأطفال الذين بلغوا الحلم . ولما كان في هذا البيان ما يدفع كثيرا من الأضرار المتوقعة وغير المتوقعة ، ناسب أن تجيء صفة العلم ، لأنه وحده العالم بخفيات الظواهر والبواطن ، ولا شك أن في الأمر بهذا الاستئذان حكمة بالغة حتى تتجنب الأسر المفسد .

وربما كان في متعارف الأسر والجماعات أن هؤلاء الذين طلب استئذانهم شديدا المخالطة لمن يستأذنون عليهم وعليهم ، ومن هنا يقع التسامح معهم . — الذي ملكته اليمين ، والطفل لم يبلغ الحلم والطفل بلغ الحلم . كلهم أصحاب صلة وثيقة ، والقرآن نفسه يقول : « **طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ** » فلا جرم يكون أمرهم بالاستئذان حكمة بالغة من الذي يعلم السر وأخفى ، وتهيئة لنفوس المؤمنين أن تتقبل هذا الأمر ، وأن تحافظ عليه لأنه من عليم حكيم .

وكم وقع ويقع من المفسد بسبب ترك هذا التأديب الإلهي ، بل كم وقع ويقع من الأضرار النفسية التي تتمكن من نفوس الأطفال حين لا يحول بينهم وبين الدخول على أهلهم في الأوقات التي ينبغي أن لا يدخلوا فيها إلا بعد إذن ، وربما دفعهم هذا العامل النفسي إلى ارتكاب القبيح ، فوق ما يسبب لهم من القلق والاضطراب العاطفي . فسبحانه وتعالى ما أجل حكمته ، وما أصدق علمه .

وهذا الذي ذكرت كما أنه يبين مناسبة التذليل لكل من المحدث عنه في الآيتين ، كذلك يبين حكمة التكرير ، فالنفوس حين تنبه إلى أمر لعلها لا تباليه بالة ، ولا ترفع له رأسا تحتاج إلى تأكيد ما يدفعها إلى الامتثال ، وما ينبه إلى خطر التهاون ، ذلك أن الذي شرع هذا الأدب الاجتماعي هو العليم الحكيم .



إلى هنا نثنى عنان القلم ، مع أمل أن يتاح لي أو لغيري أن يوفق إلى بيان الأسرار في بقية الفواصل التي قد تغمض الأسرار فيها .

وأكد أكون اقتصرت على لون واحد منها ، وهناك لون آخر يحتاج إلى جهد متواصل ، وإلى نظر واع ، ذلك هو الذي تنتهي فواصله بمثل هذه الكلمات :

( يؤمنون — يتذكرون — يتفكرون — يعلمون — يسمعون — يعقلون — يوقنون ) ، وهي فواصل كثيرة في القرآن .

ولون ثالث تنتهي فيه الفواصل بمثل ( السميع العليم — السميع البصير — اللطيف الخبير — الواحد القهار — العزيز الجبار ) .

ونوع رابع وخامس وسادس . وكل هذه الأنواع تحتاج إلى دراسة متقنة ، وإلى جهد متواصل .

والتوفيق والعون من الله وحده .



# بين العقل والوحي

للدكتور عبد المال سالم مكرم

ويميل عن الحق . ومن ثم يتحول الى مارد جبار ، يدمر ولا يبني ، يهدم ولا يصلح ، يشقى ولا يسعد . ولما كان شأنه كذلك ربطه الله تعالى بالوحي على ابدى رسل كرام يعيشون على هذه الارض يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق . وسأتناول في بحثي التفكير الاسلامي في ضوء هاتين الدعامين .



## مكانة العقل في الاسلام :

العقل من صنع الله تعالى الذي اتقن كل شيء ، وسعادة الانسانية لا تتحقق إلا في استخدام هذا العقل في ضوء وظيفته التي خلق من أجلها .

والعقل هو الحياة ، ومقده هو الموت : « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس

الاسلام دين عام شامل جاء لإصلاح البشرية ، ونشر القيم الفاضلة والمثل العليا في أرجاء الدنيا وفي كل زمان ومكان ، لأنه الدين الخالد ، « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » . هذا الدين العام الشامل قوامه دعامتان : العقل والوحي .

أما العقل فقد أحله الله تعالى منزلة سامية ، لأنه الوعاء الذي يصون العقيدة ويحفظها ، ولأنه الدرع الذي يحميها من سهام الأعداء وطعنات الجهلة والحاقدين .

والعقل هو سلاح الشريعة الذي تدافع به عن رسالتها بحيث تكون مصنوعة من جموح الهوى ، وغرائز الشهوة ، ووساوس الشيطان .

وأما الوحي فهو النور الذي يساعد العقل على أن يسير في دروب الحياة ثابت الخطا . رابط الجأش . ذلك لأن هذا العقل قد تؤثر فيه البيئة فينحرف عن الصواب

# في الاسلام

يبلغ سن الرشد ، عندها يكون العقل وصل الى المرحلة التي يستطيع أن يدرك بها حقائق الأشياء وبذلك يكون في موضع المسؤولية . ولم يترك الاسلام العقل في هذه المرحلة يسير من غير توجيه ، لأن الدروب متعددة والمسالك متشعبة بل رسم له منهجا يترتب من خلاله على أصول التفكير السليم . ومن عناصر هذا المنهج توجيهه الى النظر في ملكوت السموات والارض لأنه كلما زاد معرفة بأسرار الكون زاد معرفة بخالقه ومدبره وصانعه .

وقد كثرت في القرآن الكريم الآيات التي تدعو الانسان الى التفكير في هذا الكون بما حوى من مظاهر مختلفة لينطلق العقل الى آفاق رغبة فسيحة ، فيقر بصانع هذا الكون ومبدعه من أجل أن تستقر العقيدة ، وتضرب جذورها في القلب وتمتزج باللحم والدم ، والحس والشعور ، والعاطفة والانفعال . وجهه الى ذلك الكون ليتلمس العبرة بنفسه ، ويحس بالحقيقة

كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » . والعقل منطلق عظيم للتحرر من سلطان التقاليد التي لا تقوم على ادراك سليم ووعي كامل . « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أول لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » والذين لا يستعملون عقولهم لينقادوا الى الحق هم في الدرك الأسفل من الحيوانية . « أن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » .



هذا العقل الذي يقوم بهذه الوظيفة الكبرى لم يولد في الانسان كامل النضج تام التطور ، لأن هذا مخالف لطبائع الأشياء ، فكل مولود على ظهر هذه الأرض إما كان انسانا أو حيوانا أو نباتا يولد صغيرا ، ثم ينمو ويتطور حيناً بعد حين . ومن أجل ذلك أسقط الاسلام التكاليف الشرعية عن الصبي حتى

«لست فى معملى أعنى باثبات حقيقة الحياة بعد الموت ، ولكنى أصادف كل يوم قوى عاقلة تجعلنى أحس إزاءها أحيانا بأنه يجب على أن أركع احتراما لها » .

ولم يقف القرآن الكريم فى تربية العقل عند هذا الحد ، بل أنتقل الى مرحلة أخرى من مراحل التربية ، وهى توجيهه الى الله ذاته ، بين له بالأدلة الفطرية والعقلية أن السموات والأرض لا يستقيم أمرهما الا بالله واحد : « لو كان فيها آلهة الا الله لفسدنا » .

وهذا الاله الواحد قريب يسمع نداء من ناداه ، ودعاء من دعاه : « واذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى » .

وحينما تستبد أحداث الحياة بالإنسان ، وتضيق منافذ الدنيا فى نظره يحس العقل الإنسانى بأنه قاصر عاجز ، لا يستطيع أن يدفع عوادم الزمن ويرد نكبات الحياة .

ومن هنا رياه الاسلام على أن يركن فى هذه الحالة الى قوة ترد اليه الاطمئنان ، وتبعث فى نفسه الثقة ، وهى قوة الاله الذى بيده وحده مصائر الامور . « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض » . « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » .

وينتقل الاسلام فى مجال تربية العقل الى مرحلة أعمق من هذه المراحل جميعا مرحلة مراقبة الله فى السر والعلن ، فى البيت والعمل ، وفى كل شأن من شئون الحياة يتربى العقل فى هذه المرحلة على

عن طريق ادراكه : « وهو الذى مد الأرض ، وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يفشى الليل النهار . ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . « وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب ، وزرع ونخيل . صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

ولم يكتف القرآن الكريم بذلك ، بل وجهه الى ادراك الحكمة من صنع هذه المخلوقات ليعرف الإنسان مدى مكانته عند الله فيقول : « أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت ، فذكر انما انت مذكر » .

وجهه أن ينظر الى قوام حياته ، الى الطعام الذى قطع مراحل عديدة ليصل الى فمه ، الى معدته ، فيمده بالحياة والحركة ، والنمو والتطور . « فلينظر الإنسان الى طعامه انا صبنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا وعنبيا ، وقصبا وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولانعامكم » .

ثم وجه عقله بعد ذلك الى قصة الإبداع الكبرى ، قصة خلق السموات والأرض ، قصة انبثاق الحياة من العدم : « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى » .

وفى آية أخرى يقول عز وجل : « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها ، وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون » . وقد أعجبتنى كلمة فى هذا المقام لعالم من علماء الذرة يقول فيها :



قوم موسى اعتقدوا أن الهلاك مصيرهم ، وأن العذاب نهايتهم ، ولكن موسى كان يشعر بهذه المعية معية الله وصحبته : « فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى : انا لمدركون ، قال : كلا ان معى ربى سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك الحجر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، وأزلفنا ثم الآخرين ، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين » .

ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومعه صديقه أبو بكر ، واختبأ فى الغار تبعهما المشركون ، ووقفوا على باب الغار ، وهنا تتجلى المعية بأوضح معانيها ، وأعمق صورها حينما يقول النبى عليه السلام لصاحبه أبى بكر : ما ظنك باثنين الله ثالثهما . « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لسم تروها » .

على أن هذا العقل الذى أتيح له أن يتربى فى هذه المجالات جميعا ، والذى أتيح له من فرص التفكير ما يستطيع به أن يعى الدرس فى لحظة وإدراك وقف عند مرحلة محدودة من التفكير لا يستطيع أن يتجاوزها ، لأنها فوق استعدادة وفوق طاقته ، وفوق إدراكه . انه تربى أن يفكر فى كل ما تقع عليه العين أو يأتى اليه عن طريق الوسائل الحسية والمدرجات ، ولكن ما وراء ذلك ، التفكير فيه تطاول على الحقيقة ، لأن العقل المحدود لا يستطيع أن يلمس هذه المرحلة أو يطرق بابها الا وهى مرحلة التفكير فى ذات الله تعالى ، وحقيقة هذه الذات ، ومن أجل ذلك نهى الاسلام العقل أن يفكر فى ذات الله ،

يقظة الضمير التى تثير فيه معنى الاحساس بأن الله معه ، يراه ويسمعه « وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير » ومن هنا يتولد فى نفسه معنى الحياء مزوجا بمعنى الاطمئنان ، والشعور بقوة الله تعالى التى تحل كل مشكلات حياته صغيرها وكبيرها « وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذن تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ، ولا أصفر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين » .

وفى مقام آخر يقول : « الم تر أن الله يعلم ما فى السموات والارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة هو سادسهم ؟ ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شىء عليم » .

وقصة موسى مع فرعون مثال حى لهذا الاحساس بمعية الله تعالى ، ومصاحبته حيث يمد هذا الاحساس النفس البشرية بطاقات أخرى لا تحد لانها من قوة الله الذى لا يعجزه شىء وحينئذ يسير الانسان الى هدفه لا يحفل بطفيان ، ولا يعبأ باستبداد ، ولا يهتم بما يلقي فى طريقه من صخور وأشواك : « اذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى ، اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى . قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى . قال لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى » .

ولما خرج موسى وقومه فارين من وجه الظلم والطغيان ، واذا بفرعون يتبعهم بجنوده وحشوده ، ولما رآهم

فمن ابن عباس رضى الله عنهما :  
« تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى  
الله ، وكل ما ورد فى بالك ، فالله  
بخلاف ذلك » .

ان التفكير فى الله جنون لا يستقيم  
مع المنهج السليم ، وكيف يفكر المحدود  
فى اللامحدود ، والفانى فى الباقي ،  
والعاجز فى القوى ، والميت فى  
الحى ؟ .

ان العقل يعجز أن يحيط بادراك  
هذه المخلوقات العظيمة التى تملأ  
هذا الكون من نجوم وشموس ،  
واقمار وكواكب ، ومجرات وراءها  
مجرات . فكيف يتناول اذا السى  
صانع هذه المخلوقات ليدرك ذاته ،  
وهو « لا تدركه الابصار ، وهو يدرك  
الابصار وهو اللطيف الخبير » .

ان الاسلام قد وضع يد الانسان  
على أزرار الكون كما عرضت سابقا  
ليلمس بعقله العبرة والعظة من وراء  
هذه المظاهر الكونية ، ولكن عقل  
الانسان لو تجاوز حدوده لادى  
ذلك الى التفكير المضطرب ،  
الى الانحدار ، الى الهاوية الى الكفر  
والالحاد ، وهذا هو الهلاك الذى  
يعنيه حديث ابن عباس . وقد رتب  
الاسلام العقل على هذا المعنى ففصل  
فى كثير من القضايا بين الاسباب  
والمسببات ، والمقدمات والنتائج ،  
والعلة والمعلول ، وهى مجالات لا  
يستطيع العقل الا أن يعيش فى  
مجالها ، فمنها يستمد تفكيره ، وعليها  
يبنى نتائجه وكانت تربية الاسلام  
للعقل فى هذا المجال اعلاما له بأن  
الله الذى جعل لكل شىء سببا قدرته  
تعالى لاتحد ، يستطيع أن يفصل بين  
المقدمة والنتيجة ، ويقطع العلاقة  
بين السبب والمسبب ، والعلة  
والمعلول . ولا أدل على ذلك من قصة  
زكريا عليه السلام مع السيدة مريم

أم المسيح عليه السلام ، انها قصة  
ملبئة باللفتات العجيبة فمريم يأتيتها  
رزقها رغدا من حيث لا تدري ، ففاكهة  
الصيف تجدها فى الشتاء ، وفاكهة  
الشتاء تجدها فى الصيف ، وليس  
هناك من يقدم لها هذه الفاكهة . وهنا  
كان مثار العجب عند زكريا عليه  
السلام : « كلما دخل عليها زكريا  
المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم  
انى لك هذا ، قالت هو من عند الله ،  
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب »

وما لى اذهب بعيدا وزكريا نفسه  
امراته عاقر ، والعاقر لا تلد وقد بلغ  
من الكبر عتيا ومن كان كذلك فقد رتبته  
على الانجاب غير ممكنة ، ولما اراد  
الله تعالى له أن ينجب توارت  
الاسباب وتلاشت المقدمات امام  
القوة التى فى امكانها أن تقول للشىء  
كن فيكون . « قال رب انى يكون لى  
غلام ، وقد بلغنى الكبر ، وامرأتى  
عاقر ، قال كذلك الله يفعل ما يشاء »

وجاءت ولادة عيسى عليه السلام  
درسا ملهما لهذا العقل ليقف على  
حقائق القدرة الالهية ، انها ولادة  
أحدثت دويا هائلا فى بنى اسرائيل ،  
أقاموا الدنيا وأقعدوها لان عقولهم  
عجزت عن ادراك حقيقة هذه القدرة  
العظيمة التى فى اطارها توجد  
الاشياء . « ان مثل عيسى عند الله  
كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له  
كن فيكون » .

ومن هنا يتلقى العقل أول درس  
فى الايمان بالغيب ، وبهذا الايمان  
يستسلم العقل الى ما وراء هذا  
الكون فيؤمن بالجنة والنار ، والبعث  
والنشور ، والحساب والعقاب  
والملائكة والرسول . وكل ما ورد عن  
طريق رسل الله سلام الله عليهم  
مما لا يخضع لتجربة ، ولا يوضع  
تحت مجهر ، مما لا يدركه حس ، أو

يتناوله بصر ولكنه انقياد يدل على الطاعة ، وقرار يدل على الايمان . وبذلك تنتقل الى الدعامة الاخرى التى يقوم عليها الفكر الاسلامى ، وهى دعامة الوحي .

### الوحي :

المدلولات التى تشير اليها كلمة : « الوحي » عديدة :

فالوحي الهام لا ينفرد به الانسان فقد تشاركه بعض المخلوقات فى مجال الالهام دليل ذلك قوله تعالى : « وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون » .

وفى جانب الانسان قوله تعالى : « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه » والوحي اشارة : « فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا » وقد تكون وسوسة الشياطين وحيا : « وان الشياطين ليوحون السى اوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون » ..

والقرآن الكريم وحى : « ان هو الا وحى يوحى » ..

والذى يعينى فى هذا المقام من هذه المدلولات العديدة لكلمة الوحي هو الوحي فى اصطلاح الشرع . ومعناه : الرسالات السماوية التى يكلف بها نبى مختار من عباد الله ليعمل بها أو يبلغها مع عمله بها السى القوم الذين أرسل اليهم . والوحي بهذا المدلول أنواعه عديدة فقد يكون عبارة عن القاء المعنى فى النفس أو القلب ، وقد يكون كلاما من وراء حجاب ومن أنواعه أن ينزل ملك الوحي وهو جبريل عليه السلام السى الانبياء ليلقى عليهم رسالات السماء وتعاليمها ، وقد يأتى على صور مختلفة .. لا نستطرد فى ذكرها لانها

تحتاج وحدها الى بحث طويل . والذى أريد أن أقوله هنا ان الاسلام تميز عن الاديان التى سبقته بأن معجزته الخالدة قرآن موحى به من الله تعالى ، « وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » اعنى أن القرآن ليس من صنع عقل بشرى ، والا لتناولته العقول لتجاريه فى مجال القول ، وتنافسها فى مضمار البلاغة ، وتتحداه فى مجال القدرة البيانية . ولا زال القرآن الكريم الى اليوم ، والى أن يرث الله الارض ومن عليها يحمل عناصر القوة التى تفرض سلطانها على العقول والقلوب والعواطف والمشاعر ، والتى لا تملك القوى البلاغية الا أن تستسلم لها فى انقياد وخضوع .

والقرآن الكريم ثورة جارفة قلبت النظم العقائدية ، والسياسية والاجتماعية رأسا على عقب ، لانه كتاب اصلاح للانسانية التى خربها الظلم ، واستبد بها الباطل ، وشوهها الانحراف ، وهذا الاصلاح نابع من طبيعة القرآن ذاته لانه كما يقول الدكتور عبد الله دراز فى كتابه « مدخل الى القرآن الكريم » : يقول « راجع الى ماله من جاذبية خاصة بتوافقه الكامل مع أسلوب الناس الفطرى فى التفكير والشعور ، وباستجابته لما تتطلع اليه نفوسهم فى شئون العقيدة والسلوك ، وبوضعه الحلول الناجعة للمشكلات الكبرى التى تقلق بالهم . وبمعنى آخر لا بد أنه ينطوى على ما يشبع حاجتهم الى الحق ، والخير والجمال بما يجمع من صفات العمل الدينى والأخلاقي والادبى فى آن واحد » .. ولنا أن نتساءل : هل القرآن الكريم الذى جاء لاصلاح الانسانية ليقوم بناؤها على أسس ثابتة من الايمان والعلم ، والخلق والعدل ، وقف من

الاديان التى سبقته موقف الخصم  
العنيد ليثبت وجوده ، ويعزز مكانته ؟

الحقيقة ان القرآن الكريم لم يكن  
كذلك ، لانه ايتظ ضمائر اهل الكتاب  
بدعوته الى الوحدة الدينية التى تقوم  
على اساس ان جميع الانبياء والرسل  
أمة واحدة تحت لواء الله تبارك  
وتعالى ، وان غياب هذه الوحدة  
باطل يقوم على التعصب والفرقة .  
ولا أدل على ذلك من ان موسى عليه  
السلام يعلن انه من ابراهيم واسحاق  
ويعقوب ، وعيسى عليه السلام يعلن  
انه لم يأت الا ليؤيد من قبله من الرسل  
السابقين وشرائعهم ، ويؤيد بالبشارة  
رسالة محمد عليه السلام « ومبشرا  
برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » .

ومحمد عليه السلام يؤمن كما يؤمن  
أصحابه ، وتؤمن أمته بما أنزل اليهم  
من ربهم « آمن الرسول بما أنزل اليه  
من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله  
وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين  
أحد من رسله » .

وبذلك وضع القرآن الكريم أول  
لبنة فى بناء الوحدة الدينية بعيدا عن  
التعصب والهوى ، والحقد والانانية .

ومن هذا المنطلق اتجه التفكير  
الاسلامى يدعو الى هذه الوحدة فى  
منطق قوى واقناع عجيب . « قل  
يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء  
بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك  
به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا  
أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا  
أشهدوا باننا مسلمون » .

منطق قوى يثير فى العقل تساؤلات  
لم الاختلاف وقد آمن العقل بوحدة هذا  
الكون التى أبدعها الاله الواحد ؟ كل  
ما فى الامر أن هذا العقل قد تشبّل

قواه ، ويضعف بناؤه ، فيركع أمام  
وثن أو حجر أو يخضع لسلطان  
كاهن أو راهب ، ومن هنا يأخذ طريقه  
الى الانحراف فإذا ترك وثنائه ،  
انزوى الحق ، وضاع العدل ، وظهر  
الباطل وكثر الفساد ، واطلم الكون .

ومن أجل ايقاظ ضمائر هؤلاء  
المنحرفين نهانا القرآن الكريم أن نتخذ  
منهج العنف فى الحوار والمناقشة  
حينما ندعو أهل الكتاب الى الاسلام  
لان العنف لا يقابله الا العنف ،  
والاسلام دين فوق مستوى  
العناد ومستوى الاستبداد الفكرى  
فقال : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا  
بالتى هى أحسن » وقد تعمى العاطفة  
عيون اتباع الرسل عن الحقيقة  
فبالبغى فى اضعاء القدسية على  
أنبيائهم ورسلهم فى تعصب ممقوت  
ليرتفعوا بها الى درجة الألوهية كما  
قالت اليهود عزيزا بن الله ، وكما قالت  
النصارى المسيح ابن الله ، ذلك  
قولهم بأفواههم يضاهئون قول  
الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى  
يؤفكون .

ومن هنا كان القرآن الكريم حريصا  
على أن يضع الحقيقة واضحة حول  
رسول القرآن ليكون الاتباع على بينة  
من الأمر ، وحتى لا يقيموا فيما وقع  
فيه أتباع الانبياء من قبل ، فأكد القرآن  
الكريم بشرية الرسول عليه السلام  
فى أكثر من موضع ليلفت العقول  
دائما الى الحق : « قل لا أقول لكم  
عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب  
ولا أقول لكم انى ملك . ان اتبع الا  
ما يوحى الى » .

وفى الاعراف : « قل لا املك  
نفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله  
ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من  
الخير ، وما مسنى السوء ان أنا الا

قمت حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه ، وقد نزل تحريم الخمر ، فجئت أصحابي ، فقرأت الآية عليهم الى قوله . « فهل أنتم منتهون » ، قال بعض القوم وشربته في يده ، شرب بعضا وبقي بعض في الإناء ، فأراقوا ما في كؤوسهم ، ثم صبوا ما في إباطينهم وقالوا : انتهينا ربنا .

مجرد تحريم الخمر تفعل في نفوسهم هذا الفعل العجيب ، فيكسرون الإباطى ويحطمون الكؤوس وليس هذا القانون في حاجة الى قوة بوليسية تشهر سلاحها في وجه من يقف دون تنفيذه . نعم كانت هناك قوة بوليسية ولكنها في داخل النفس لامن خارجها ، انه الضمير المتفتح ، انه القلب الداعي ، انه الايمان بالله اقوى من كل القوى ، وأعظم من اسلحة الدنيا .

وحتى النساء اللاتي تميزن بالجانب العاطفى نجدهن في مجال الالتزام بأوامر القرآن الكريم ونواهي كالجبال على قدم المساواة . فعن صفية بنت شيبة قالت : بينما نحن عند عائشة ، قالت : فذكرن نساء قریش وفضلهن فقالت عائشة : ان لنساء قریش لفضلا واني والله ما رأيت أفضل من نساء الانصار أشد تصديقا لكتاب الله ، ولا ايمانا بالتنزيل . لما نزلت « وليضربن بخرهن على جيوبهن » انقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ما انزل الله يتلو الرجل على امراته ، وابنته ، واخوته وعلى ذي قرابته فما منهن امرأة الا قامت الى مرطها لالرجل ، فاعتجرت به تصديقا وايمانا بما انزل الله من كتاب ، فأصبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن على رءوسهن الغربان .

ولعلك ايها القاريء تحس ان

نذير وبشير لقوم يؤمنون » ، وقد حرص النبي عليه السلام نفسه ان يؤكد عبوديته لله . فكان يقول : « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » .



ولم يكن القرآن الكريم مجرد تشريعات تشرع ، أو قوانين تتلى ، أو قيم تعرض فحسب بل كان بجانب ذلك قوة تنفيذية ، لا يستطيع المسلم الفكك منها ، لأنها قوة تعمل في ضميره ذاته ، فبعد أن طساف القرآن الكريم بفكر المسلم في رحاب الكون دارسا وباحثا ، وفي رحاب العقيدة مؤمنا وموقنا حول هذا الفكر الى قوة تنفيذية ، لا يتسرب اليها شك ، أو يعترها ضعف ازاء أوامر القرآن الكريم ونواهي ، فمثلا حينما حرم القرآن الخمر ، وكانت الخمر تشرب اذ ذاك لأنه لم ينزل فيها امر بتحريمها حتى بعد دخول الاسلام ، فلما حرمت الخمر بعد ذلك كان لتحريمها قصة تدل على رفاة الحس ويقتلة الضمير ، وسمو النفس . يحدثنا انس بن مالك فيقول : « بينما أنا ادير الكأس على ابي طلحة ، وأبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل حتى مالت رءوسهم من الخمر اذ سمعت مناديا ينادى : الا أن الخمر قد حرمت قال انس : فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القلال ، وتوضأ بعضنا ، واغتسل بعضنا . وأصاب من طيب أم سليم ثم خرجنا الى المسجد » .

وفي حديث آخر عن ابي بريدة عن ابيه قال : بينما نحن قعود على شراب لنا ، ونحن نشرب الخمر اذ

الدافع لهذا الالتزام ، والسر وراء سرعة التنفيذ انها يرجع الى العقيدة والعقيدة حياة وحركة ، عاطفة وانفعال ، قوة والزام ، ليست العقيدة فلسفة فكرية سلاحها الجدل والمنطق ولكنها قوة ربانية سلاحها الحق والخير . وتعجبني في هذا الموقف كلمة أحد الكتاب حينما يقول : « ان الفارق الاساسى بين العقائد والفلسفات هو ان العقيدة كلمة حية تعمل في كيان انسان ، ويعمل على تحقيقها انسان . اما الفلسفة فهي كلمة ميتة مجردة من اللحم والدم ، تعيش في ذهنه ، وتبقى باردة هناك »



وحينما يتلاقى العقل والوحى في الاسلام يتكون الفكر الاسلامى المكتمل لان العقل يستمد مدركاته كما قلت من الحياة والطبيعة والكون ، والوحى يستمد تعاليمه من الله خالق الحياة والطبيعة والكون .

وجوهر الفكر الاسلامى يقوم على العلم يدل على ذلك ان أول آية أنزلت في القرآن الكريم : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » .

وعلم رب الاسلام نبي الاسلام الا يقتنع بها عنده من المعرفة والعلم بل طلب منه ان يكون شعاره دائماً « وقل رب زدنى علماً » .

وكان النبى عليه السلام بعد نزول هذه الآية يدعو فيقول : اللهم علمنى

ما ينفعنى ، وانفعنى بما علمتنى ، وزدنى علماً ، والحمد لله على كل حال .

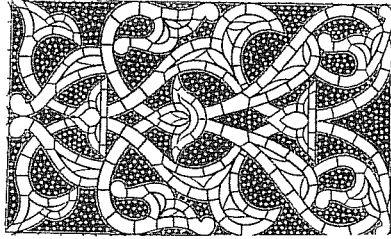
واذا كانت النبوة لا تورث لانها هبة سماوية ، فهي اكبر من الارث ، ومن صلات اللحم والدم ، ومع ذلك فان الرسول عليه السلام جعل العلماء في الدرجة التالية للانبياء فقال : العلماء ورثة الانبياء .

وليس للعلم غاية ينتهى اليها العقل فاذا ما وصل اليها اتى السلاح ، لان الرسول عليه السلام يقول : لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم ، فاذا ظن انه قد علم فقد جهل .

وليس العلم في الاسلام مقصوراً على التفسير والحديث ، والفقه والنحو ، واللغة ، فهذا جانب فقط ، ولكن العلم يشمل جوانب الحياة المختلفة التى تساعد على تقدم البشرية وتطور الانسان ، وتقدم العمران ، لان هذا يدور حول فكرة واحدة هي ربط السماء بالارض ، والدين بالدنيا والحياة بالموت .

لقد اضاء مشعل العلم في الفكر الاسلامى ظلمات أوروبا ، فتكونت حضارتها التى تفرض وجودها على العالم الآن ، وما خيوط هذه الحضارة الا من نسيج ذلك الفكر العربى المسلم العملاق .

وانى لأدعو ان ننظر في مسيرتنا الكبرى نحو الحرية والسلام الى هاتين الدعامين : الوحى والعقل لنصل الى مرفأ السلام تحت رعاية الرحمن .







### للدكتور وهبه الزحيلي

الاستعمار وآثامه .  
وهذه الحركات أو التيارات إما  
مصادمة لجوهر الاسلام وموضوعه  
المباشر في العقيدة ونظام الحياة ،  
واما موجهة فقط نحو الشق الثاني  
وهو النظام الذي وضعه للمجتمع .  
وكل هاتيك الحركات منشؤها  
التعصب الدفين ضد الاسلام ، أو  
التخوف من عودة سلطانه على حياة  
الناس أو السخف والرعونة التي  
دفعت سدنتها الى زعم كون الاسلام  
أو الدين عائقا عن السير في مضمار

منى الاسلام بهزات عنيفة عبر  
التاريخ ، ومن هذه الهزات في  
العصر الحاضر : ظهور بعض  
الحركات أو التيارات الالحادية  
المعادية للدين عموما ، والتي تحاول  
التخلص من الاسلام بوصف براق أو  
بآخر مزيف تحت ستار التجديد  
والعصرية ، واستغلال بعض مظاهر  
الضعف والتخلف الطارئة التي يمر  
بها العالم الاسلامي أو العربي  
المسلم بعد انتفاضته الجبارة على يد  
شرفائه وعلمائه ، وتخلصه من ويلات

التقدم والمدنية الحديثة ، مما أوقع بعض حكام العرب أو المسلمين فريسة المخططات الاستعمارية المادية والفكرية .

وقد تفاوت تأثير تلك الحركات أو التيارات على نظام الاسلام بمقدار دعم السلطات الدولية الكبرى لها فى الظاهر ، أو فى السر والباطن . وتمخضت أحداث قرن من الزمان تقريبا عن نشوء تيارات ثلاث أدت الى انحسار تطبيق ( الشريعة ) فى مجال تنظيم شئون المجتمع وهى :

١ - حركات الارتداد عن الاسلام المتمثلة فى ( البهائية ) منذ قرن ونصف ، وفى ( القديانية ) فى مطلع القرن العشرين . فالبهائية ألغت كل ما جاء عن الاسلام من أحكام الحلال والحرام فى البيوع والأطعمة وغيرها ، ومسخت أوضاع العبادات وشوهرتها ، وأحلت محلها شريعة نسخت الشريعة الاسلامية ، ونشرت آراء قصد بها هدم الاسلام ونشر الفوضى والإلحاد بين المسلمين . والقديانية أحلت بعد نبوة خاتم الأنبياء نبوة جديدة تزعم تنزل الوحي فيها على زعيمها ، ثم اعتقد مردتها بحلول اللاهوت فى جسد ( غلام أحمد القاديانى ) مؤسس هذه البدعة بوحي من الاستعمار البريطانى الذى قصد بالذات تفريق كلمة المسلمين وتعطيل مفهوم الجهاد كى يقر قراره فى ربوع الهند .

٢ - حركات الانتقاض على الأديان عموما ومنها الاسلام الذى يختلف عن المسيحية مثلا بتنظيم شئون الحياة أو العلاقات الاجتماعية بين الناس . ويتمثل ذلك فى ( الوجودية ) و ( العلمانية ) التى تولد الشك والفساد ، و ( الشيوعية ) العالمية عقب الثورة البلشفية عام ١٩١٧ فى روسيا ، والتى ذهب ضحية مجازرها الرهيبة فى آسيا

وأوروبا الشرقية ملايين الناس من المسلمين الذين حاولوا الحفاظ على عقيدتهم وتعاليمهم الدينية .

٣ - حركات فصل القيم والدولة عن العقيدة الدينية بسبب تقدم العلوم الحديثة فى أوروبا وتقوية الجانب العلمانى فى حضارتها ، سواء فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومنها الناحية الدستورية والقانونية . وانعكست آثار هذه الحركات فى عالم الاسلام فى الثورة الكمالية فى تركيا بقيادة أتاتورك الذى ألغى الخلافة الاسلامية عام ١٩٢٤ ، وأعلن علمانية الدولة أو لا دينيتها ، حتى فى المظهر والشكل والشعائر الدينية ، زاعما تحقيق التقدم لبلاده ، مع أنها الى الآن ما زالت وكأنها تعيش فى القرون الوسطى .

وسارت فى ركاب العلمانية بعض الأحزاب اليسارية فى أواخر الأربعينيات فى بعض البلاد العربية ، والانظمة العسكرية العربية التى ( أفسحت المجال لطبع المجتمعات بالطابع الغربى ، وبخاصة فى المجالات التقنية وفى مجالات التعليم ) فعطلت الشريعة ، وأحلت محلها دساتير ونظم برلمانية وقوانين غريبة . وجاهر بعض قادتهم بأن الاسلام - العظيم الرائع - قد انتهى ، وأدى دوره فى الماضى ، ولم يعد صالحا للتطبيق فى الوقت الحاضر بحجة كون ( المذاهب الفقهية المختلفة ) تمثل بيئة اجتماعية معينة ، وتصورا حياتيا خاصا ، أو ظرفا زمانيا ومكانيا محددا . فهل نطبق اسلام مالك أو أبى حنيفة أو الشافعى أو ابن حنبل ، أو الجعفرى أو الزيدى أو الظاهرى . وكيف يصح فرض أحكام الاسلام على غير المسلمين الشركاء فى الوطن الواحد . . . الخ ما يهرفون ويخرفون . والحقيقة أن مثل هذه التيارات

ناضع الجبين ، لا بالاساليب العاطفية ، وانما بالخطط النظرية والعملية . وأسارع الى القول بأن أغلب رجال القانون الذين يتحمسون للقوانين الغربية المستوردة ليسوا سوى مجرد نقلة ومترجمين ، مما يسهل عليهم الحفاظ على بضاعتهم ، ويربحهم من عناء الجهد والبحث فى معين الاسلام وفقهه الخصب .

وأما رجال فقهننا فيفترقون عادة لأعوام طوال فى تحصييل الفروع والجزئيات الفقهية من الشروح والحواشي ، حتى اذا تم تحصيلهم صاروا أسرى لها ، فوقفوا عندها ، ولم يتصدوا للبحث المشكلات الجديدة ، ولم يجرؤ أغلبهم على اصدار رأى جديد فى شأنها ، واذا أقدم أحدهم باحثا قضية ، وأفتى فيها برأى معين ، ناله الآخرون بالسب والجرح والطعن فى مروءته ودينه وعرضه . والحق يقال : لم يهيا لرجال الفقه بحث القضايا الجديدة ، لاعراض السلطة وواضعى القانون عن مخلفات جهودهم وثمرات أفكارهم بسبب طرح الشريعة أساسا عن النفوذ الى مجال التفتين ولقد شجع الحكم الاستبدادى بحق على سيادة الفكر المحافظ . وظلت دور العلم الشرعى تدور فى حلقة مفرغة ، وسيطر اليأس على أذهان طلابها من التفكير فى استنباط الاحكام من الشريعة ، بالإضافة الى تعذر حصول الكثيرين منهم على مورد يكفيه مؤنة العيش ولقمة الحياة . وأما الثانمون على تدريس الشريعة فى كليات الحقوق ، فقد فتنوا بالنظريات والمبادئ الفقهية العامة ، وبمحاولة تقريب الشريعة من الافهام القانونية ، وتركوا المهمة الاصلية فى تأصيل وتجديد الفقه بصفة عامة ، ونادوا

الخطيرة كسابقتها كانت من محض وحى الاستعمار ، ولاسيما فى أرجاء باريس ، ولندن ، وسرت بدعة العلمانية الى الدساتير العربية من الغرب ، دون وعى الواضعين الذين تجاهلوا أو نسوا أن طبيعة الدين المسيحي يقتصر على كونه مجرد معتقد ، ويسمح للدولة بتنظيم شئون الحياة بقوانين وضعية . فقد تقبل الغربى كل القيم الجديدة لمجتمعه ، لأنه وجد أن دينه لا يتمشى مع روح العصر ، وساعد على ذلك تاريخ الكنيسة فى العصور الوسطى فى أوروبا ، حيث قاوم رجال الدين ( الكهنوت ) كل العلماء والمفكرين ، واضطهدوهم ، واستغل الحكام لتأييد انحرافهم سبتار الدين ، وادعوا أحقيتهم بالسلطة بالتفويض الالهى المطلق .

وصدم شعور العربى الذى وجد أن عليه أن يطرح قيم مجتمعه ، وأن يتنكر لحضارة الاسلام التى تعتبر فصل الدين عن الحياة خيانة للمجتمع وتخلياً عنه .

وأيا ما كان دافع العلمانية شريفا أم خبيثا فقد ظل الاستعمار الفكرى جاثما فى البلاد العربية بتطبيق قوانينه وتصوراته ومنطقه ، وتم تنفيذ مخططات تحالف معسكر الالحاد فى الشرق والغرب ، وانكماش الاسلام فكرا وعقيدة وأخلاقا ، ونظما وشرائع ودستورا وسياسة زهاء قرن من الزمان .

وكان لزاما علينا كشف هذه الحقائق لئلا يفتتن بسطاء المسلمين والجهلة والعمامة وبعض المثقفين ببريق التيارات المخادعة باسم التقدم والمدنية ، ولنبد كل التهم الباطلة الموجهة للاسلام زورا وبهتانا ، أو كيدا وتعصبا ، أو جهلا ومغالطة ، من طريق بيان دعائم خلود الاسلام ، وسبيل العودة اليه أبيض الوجه

بضرورة الاجتهاد وفتح بابه ولم يجتهدوا الا فى القليل او النزر اليسير. وأما مقومات خلود الاسلام التى تجعله غير قابل للانتهاك والانكماش فكثيرة منها ما يأتى :

١ - الحفاظ على الكرامة الانسانية واحترام العقل وتحريره من قيود التقليد الاعمى والخرافات ، بنى عباداة العباد ، وغرس أصول الايمان الحق بالله ، القائم على المنطق الحر والتفكير والتأمل والافتناع بالدليل والبرهان .

٢ - تأسيس نظام الحياة على أساس العلم والمعرفة والبحث والتجربة والامادة من خبرات الآخرين الصالحة .

٣ - توسيطه فى النظرة الى الانسان والكون والحياة ، والمال والمادة ، بالاهتمام بمصالح الدنيا والآخرة ، وبمطالب الروح والجسد ، وتوجيه الانتفاع بالمال وجهة جماعية تقوم على أساس الايثار وحب الغير والتكافل والتعاون والتآلف .

٤ - كونه دين اليسر والسماحة والمرونة فى الحدود التى تقبل التطور ، لأن قيم الاسلام الخالدة أصيلة لا يصح تجاوزها ، ولأن فكرة كون الاسلام يتجدد ويخضع لمعامل الزمن فى تطوره فكرة استعمارية . فالمبادئ القطعية أو الأساسية فى الشريعة لا تقبل التطور كأداء الامانات والحقوق الى أصحابها ، والتزام العدالة فى القضاء والشهادة ، والتراعى فى العقود ، وقمع الاجرام وسد الذرائع الى الانحراف ، والمسئولية الشخصية وضمن الضرر .

٥ - اصلاح الفرد بتربية ضميره واصلاح سلوكه وتحسينه بالأخلاق المثلى - الواقعية لا الخيالية ، وتوجيهه نحو الخير والمحبة والاحسان ، وتغليب العقل على

الاهواء والشهوات والمصالح الموقوتة ، وربطه بالله صباح مساء .  
٦ - تقويم الجماعة على أساس العدالة والامن والحرية التى تقيم المجتمع الفاضل ، بواسطة العقيدة والايمان والعبادات ، وأنظمة المعاملات والعلاقات بين الأفراد ، التى تقيم حياة مدنية راقية تعرف بالحقوق والواجبات ، وتصون الحريات التى لا تصادم مصلحة الجماعة وتوفر أمنها واستقرارها . وأما المذاهب الفقهية فليست أديانا أو شرائع متنافذة وانما هى مدارس اجتهادية للفهم والاستنباط واستقاء الحلول الصالحة للمشاكل المعقدة ، وتفسير النصوص قانونا أو قضاء ، فوجودها أمر طبيعى ضرورى بسبب اختلاف الافهام والانظار ، كالمدارس التى وجدت تماما لتفسير القوانين الوضعية ، فهى فرع والاسلام هو الاصل والمنبع ، وليست كل اجتهادات المذاهب ملزمة ، وانما الملزم هو نصوص القرآن والسنة الثابتة الصحيحة ، فيعمل حينئذ بالنصوص القطعية الرواية والدلالة التى لا مجال للاجتهاد فيها الا لمانع شرعى من فوات شرط كدرء حـد بشبهة ، أو للضرورة المبيحة أو المانعة من المسئولية ، وأما غير القطعى فيعمل فيه الحاكم باجتهاده ، أو يتخير من المذاهب الفقهية ما يتفق مع روح الشرع ومبادئه ، ويحقق مصالح الناس التى لا تصادم النصوص القطعية ، أو الظنية . ويراعى فى الاختيار أيضا الوصول الى العدالة ، والمساواة فى الحقوق والشهادات والاحكام القضائية ، وملاءمة الاعراف والعادات التى لا تصادم النصوص الشرعية ، واباحة المعاملات والعقود والشروط غير المنوعة شرعا ، والتى تيسر شئون المبادلات التجارية ، وتحرص على

مراعاة مقتضيات الفضيلة والاخلاق ،  
وتجنب نواحي الفساد والفحش  
واهتزاز الثقة بنظام التعامل ، ونحو  
ذلك من القواعد الأصلية الثابتة فى  
الاسلام مهما تبدلت الظروف  
والاحوال .

وقد أكد القرآن الكريم صحة  
تشريع المذاهب الاجتهادية فى قوله  
تعالى : « وأمرهم شورى بينهم »  
« يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ،  
وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر  
منكم . . » وأولو الأمر هم فى  
السياسة الحكام ، وفى العلم العلماء  
الموثوقون الذين عرفوا بسلامة  
تفكيرهم وصحة تفسيرهم واصابة  
استنباطهم فى الغالب . وأقرت  
السنة حق اللجوء الى الاجتهاد عند  
تعذر النص فى حديث معاذ الذى  
رواه البغوى فى مصابيح السنة ،  
وأخرجه أبو داود فى سننه ، وفيه  
اقرار صريح بممارسة الاجتهاد ، اذا  
لم يجد القاضى حكما فى الكتاب  
والسنة . والاجتهاد ومنه الاجماع  
المعتمد على مستند شرعى أداة  
حساسة مرنة ووسيلة واعية للحفاظ  
على خلود الشريعة ، ونمو أحكامها ،  
وتطور ما يقبل التطور منها ، وفق  
حاجات البلاد واختلاف الزمان ، كما  
انه تماما وسيلة المحافظة على مرونة  
القانون الوضعى .

وبذلك تظل حركة التجديد مستمرة  
لحماية مصالح المجتمع والقضاء على  
المفاسد ، عملا بمبدأ الاسلام الذى  
يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .  
ولكن ينبغى ألا يفهم أن الاجتهاد أو  
التجديد معناه الحكم بالهوى أو  
( حرية الحكم ) المطلق ، كما زعم  
بعض الجدد . وانما هو عملية  
استنباط الأحكام من مصادرها  
الشرعية بواسطة العلماء المختصين  
ذوى الكفاءة العالية فى الفهم  
والادراك ، وتمثل روح الشريعة

وأهدافها العامة .

وأما التباكى على مصالحي غير  
المسلمين أو التعاطف معهم فممنشؤه  
الجهل بمبادئ الاسلام الحقة التى لا  
تقر ظلم الأحد من رعايا غير  
المسلمين ، ولا تكلف عبئا خاصا بهم ،  
ولا تطالبهم بما لا يطيقون وكل ما قد  
يشاع من تهم فمصدره الكيد  
والمغالطة ، والجهل بحقائق التاريخ ،  
والتعصب البغيض منهم على المسلمين  
الذين يعاملونهم بمنتهى التسامح .  
فان التزموا بقوانين الاسلام فى  
المعاملات وغيرها ، فلأن المسلمين  
هم الاغلبية الساحقة ، وأيها خير :  
هل فرض قوانين المستعمرين  
الظالمين على المسلمين وغيرهم فى  
ديار الاسلام أو تطبيق قواعدنا  
السماوية الاصل ، القائمة على  
الرحمة والعدل والمساواة ، النابعة  
من البيئة العربية ومدنية العرب قبل  
الاسلام وبعده . . ؟!

ولنا أن نبين للذكرى ودحض  
الحجة المفضضة ما يتجاهله الحاقدون  
على الاسلام ومنهم بعض رجال  
القانون ، وهو أن الشريعة صالحة  
فعلا لتنظيم الحياة الإنسانية ، والفقه  
الاسلامى يلبي هذه الحاجة ويقرر  
أوجه الصلاحية بما تخلله من مبادئ  
وقواعد ثابتة وأحكام تفصيلية ، نذكر  
منها بعض الامثال فى نطاق الحقوق  
العامة والخاصة التى ينقسم اليها  
كل نظام قانونى قضائى .

أما الحقوق العامة فمنها داخلى  
ومنها خارجى ، والاو اما دستورى  
أو ادارى ، وفى نطاق الحقوق  
الدستورية قررت الشريعة مبادئ  
ثابتة مدعاة للاعجاب :

١ - حرية المواطن دون اخلال  
بالنظام العام والآداب ، ودون اعتداء  
على حق الغير وحرية .

٢ - المساواة بين الناس فى  
الحقوق والواجبات .

٣ - الشورى أساس الحكم .  
٤ - أموال المواطنين وديارهم وأعراضهم حرام .

٥ - العمل حق ضرورى وواجب على كل قادر عليه . وأما العاجز فيعمل من أقاربه أو من الدولة إذا لم يكن له قريب موسر ينفق عليه .  
٦ - الإخاء والتعاون والتكافل قانون المجتمع .

٧ - المال وتملكه وإن كان حقاً خاصاً ، لكنه ذو نزعة جماعية .

٨ - مال الخزينة العامة مرصود لمصالح الأمة ، ومنفصل عن ملك الحاكم .

وفى القواعد الإدارية اقترنت الشريعة بالمبادئ التالية :

١ - للحاكم حق إصدار مختلف القرارات الإدارية التنظيمية ، بشرط التزام مبدأ الشورى ، ورعاية المصلحة العامة ، وعدم مصادمة نصوص الشريعة وقواعدها التشريعية الثابتة .

٢ - حق الطاعة من الرعية للحاكم مقيد بالمعروف .

٣ - تصرفات الحاكم فى نواحي الإدارة وفرض الضرائب وجبايتها وتوفير الخدمات العامة والاستملاك الجبرى للمنفعة العامة : تخضع لرقابة الأمة .

٤ - ليس للحاكم أو أحد موظفيه حصانة أو امتياز على أحد .

وأما فى مجال العلاقات الخارجية ( الدولية ) فقررت الشريعة ما يأتى :

١ - الشعوب البشرية كلها متساوية فى الحقوق الإنسانية ، فليس هناك تقبل لأى تفرقة عنصرية أو جنسية أو مذهبية أو طبقية لشعب مختار أو فئة ممتازة على حساب المجموعة البشرية الأخرى .

٢ - المعاملة بين الدولة الإسلامية وغيرها تقوم فى السلم والحرب على أساس العدالة والحقوق الإنسانية .  
ففى وقت السلم تحترم الحقوق المكتسبة للآخرين . وفى زمن الحرب

يحرم الاعتداء والإيذاء والفساد لغير ضرورة حربية ، لأن الله تعالى لا يحب الفساد .

٣ - المعاهدات بين الدولة الإسلامية وغيرها مقدسة لا تمس بنودها ، وملزمة وواجبة التنفيذ بحسن نية كالعقود بين الأفراد ، ولا تنقض ما لم ينقضها العدو .

٤ - التعايش السلمى أساس العلاقة مع الأمم المجاورة . والحرب إجراء اضطرارى لا يلجأ إليه إلا عند العدوان بمختلف أشكاله . ولا حرب دون انذار باجماع الفقهاء ، ولا اقرار لاغتصاب بلادنا .

٥ - المعاملة بالمثل جائزة إلا فيما يخالف أوامر الشريعة وقواعدها والأخلاق الإسلامية .

٦ - الحصانة السياسية حق للسفراء والقناصل وممثلى الدول الأجنبية .

وأما الحقوق الخاصة فتشمل النواحي المدنية والجنائية .  
ففى الحقوق المدنية قررت الشريعة ما يأتى :

( ١ ) فى الأحوال الشخصية :  
عننى الإسلام بتربية الفرد وتقوية شخصيته وإرادته ، ليقوى المجتمع ويؤسس على قواعد راسخة صالحة . ونظمت حقوق واجبات أفراد الأسرة ، ووضعت لها القواعد والنظم الملائمة للطبيعة البشرية والحاجة الإنسانية .  
واعتبر الزواج عقداً مدنياً رضائياً محضاً كسائر العقود ، ومنع الزواج بالأقارب المحارم حفاظاً على وشائج القرابة والرحم ، وأجيز انحلال الزواج إذا تعذر بقاءه وأصبح عقبة فى إقامة الأسرة القوية المتناسكة . وحافظ على نقاء نبتة الأسرة وطهارة الانساب فحوربت العلاقات غير المشروعة .  
وأقيمت الولاية والوصاية لحماية مصالح القاصرين . ووزع الإرث بين الزوجين ، وبين الأولاد والأقارب على أساس متين من العدل والحق .

واعتبر الانسان فى مجال الاشخاص هو أساس الشخصية القانونية . ومع ذلك وجدت بعض الاحكام المؤيدة لوجود ما سمي بالشخصية الاعتبارية كفرض الكفاية ، وتمثيل الامة بالحاكم أو القاضى ، والوقف للمسجد ونحوه من سبل الخير ، وقول الفقهاء : ( للمسجد وقف ) ونحو ذلك .

ب ) فى الالتزامات : اعتبرت الشريعة كل فعل ضار بالغير موجبا مسئولية الفاعل أو المتسبب ، والتزامه بالتعويض عن الضرر عمدا أو خطأ ، اذ لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام . وهذا يعرف حديثا بنظرية التعسف فى استعمال الحق ، وأخذت الشريعة أيضا فى باب الالتزامات بنظرية الضرورة الشرعية المقابلة لنظرية الظروف الطارئة فى القوانين الحديثة .

وعرفت مصادر التزام أخرى كالارادة المنفردة ، والشرع كالالتزام بنفقة الاقارب ، والفعل النافع المقابل لما يعرف قانونا بالاثراء بلا سبب ، كالاستيلاء على الشئ خطأ ، أو قبض مال من آخر لترك محرم كالقتل والسرقة ، أو لفعل واجب كالصوم والصلاة ، أو ابناء ما لا يجب للغير ثم يتبين أنه لا حق له ، أو دفع مال لغيره على عمل لا يعتبره العقلاء وانما يعد فى نظرهم عبثا ولغوا ، أو الرجوع بالحق على من تناول مال غيره للضرورة ، أو على صاحب الوديعة لتغطية ما أنفق أو بذل لها من أجل حفظها .

وفى نطاق الاجراءات اعتبرت جميع الالتزامات مضمونة بتأييد القاضى ، وله كل السلطات الممكنة لاجبار كل مدين على تنفيذ التزامه ، ولو كان الحاكم الاعلى .

ج ) فى العقود : أقرت الشريعة القواعد الآتية : يلتزم العاقد دون غيره بعقده ، وينتقل التزامه الى الخلف ، كالسوارث والموصى له

والعقود كلها رضائية تنعقد بالتراضى الحر دون توقف على ممارسة شكليات معينة . وتصبح العقود صحيحة بمجرد الاتفاق بين طرفيها . وتعتبر الشروط العقدية حرة ملزمة للعاقدين الا ما يخالف النظام العام والآداب . وتخضع العقود لقواعد الاخلاق العامة ، ويجب أن يسودها حسن النية ، فيعتبر الغش والتدليس والغلط ، والتغير مسوغا فسخ العقد . والعرف والعادة أساس تحديد حدود الالتزامات العقدية ما لم ينص على خلافها صراحة .

وفى النواحي الجنائية : قررت الشريعة أن كل ممنوع شرعا وسياسة جريمة ، وكل جريمة يعاقب عليها بعقاب عادل متناسب مع الفعل وكاف للزجر واقرار الامن . وفوضت الشريعة السلطة الحاكمة ( الدولة ) فى تقدير مقدار العقوبة ونوعها حسب الظروف والملابسات الشخصية والزمانية والمكانية . وحددت مع ذلك عقوبات بعض الجرائم نظرا لخطورتها ، وأولها الردة باعتبارها خروجا على قيم الوطن ومسئوليته ، والمحاربة لتهديدها لأمن الاشخاص والاموال ، والسرقة ، والزنى ، والقتل ، وتناول المسكرات ، والاعتداء على النفس أو أحد الاعضاء ، مما هو معروف العلة . هذه هى الاصلة النظرية للشريعة التى حدث بالمحافل والمؤتمرات والجمعيات الدولية فى لاهى وباريس وبرلين عام ١٩٣٢ ، ١٩٣٧ ، ١٩٤٨ ، ١٩٥١ أن تعترف بحيوية الشريعة ومرونتها وصلاحياتها للتطبيق فى كل زمان ومكان .

ومن أطرف ما قرأت عن اعجاب المستشرقين بالشريعة ما قالته أستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة الاسلامية فى جامعة نابولى بايطاليا الدكتورة لورا فيشيا فاغليري فى كتابها ( دفاع عن الاسلام ) : ان

علينا أن نقدم أعمق أعجابنا الى دين لا يكتفى بنظرية ملائمة لمطامع الطبيعة البشرية ، وبإقامة شريعة تتألف من أسس القوانين التي يستطيع الإنسان الحياة وفقها ، ولكنه يذهب الى أبعد من ذلك ، فينادي بفلسفة حياة . دين يقيم مبادئ الاخلاق الأساسية على أساس نظامي وإيجابى . الخ . ثم استشهدت بقول محمد فريد وجدى : « ان الاسلام هو فى الحقيقة دستور السعادة الحقيقية ، وأنه رسول الحضارة الصحيحة ، وأنه جدير بالتالى بأن يمنحه كل انسان حبه واحترامه ، كما منحه الحب والاحترام أولئك الفلاسفة الكبار الذين استهلوه وآمنوا به . . » ومن يدري أن يتحقق التنبؤ القائل بأن الاسلام سيكتسح ويفوز أفريقيا لأنه دين التوحيد والمدنية ، ويفوز أوروبا لأنه دين العلم والتأمل .

أما من الناحية العملية فان شرع الاسلام وفقهه ما زال يطبق فى بعض الدول العربية أو الاسلامية وعلى الصعيد الخاص فى معاملات الأفراد أحيانا ، وترتفع أصوات بعض رؤساء دول عربية تنادى بضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية ، حتى نحافظ على أصالتنا ونتخلص من رواسب الاستعمار الفكرى ، وشكلت سنة ١٩٧١ فى ليبيا فعلاجان لمراجعة القوانين وحصر واستظهار ما يناقض الاحكام القطعية والقواعد الأساسية للشريعة الاسلامية والعمل على ازالة هذا التناقض باعداد تشريعات بديلة ، أخذنا من مختلف المذاهب ، مع تخير أيسر الحلول حسبها تقتضيه المصلحة العامة ، ومع مراعاة ما جرى عليه العرف فى البلاد مما له أصل فى مذهب الإمام مالك . وتنص المادة السادسة من دستور دولة اتحاد مصر وسوريا وليبيا عام ١٩٧١ على ما يلى : « تؤكد دولة الاتحاد على القيم الروحية ، وتتخذ الشريعة الاسلامية

مصدرا رئيسيا للتشريع » وبهذا النص تخطت كل الشعارات النظرية المحضة كاعتبار دين الدولة الاسلام ، الذى يقتصر على « الاسلام كعقيدة وشعائر » ولا يأخذ بكونه « نظاما يحكم علاقات الافراد » .

وطريق العودة الى الاسلام وشرعه يكمن فيما يأتى :

١ - غرس أصول الايمان بعناصره الست ، والاسلام بأركانه الخمس .  
٢ - توفير القوة المتفوقة على العدو الخارجى .

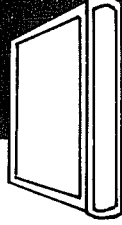
٣ - استمداد التقنيات من أحكام الشريعة .

٤ - العلم الحديث الذى لا يتصادم فى موضوعه مع أصول الايمان .

أما ما قد يتجافى أو يقصر أو يضيق من اجتهادات فقه المذاهب الاسلامية ، فيمكن الاستعاضة عنه بما تنتهى اليه مجامع البحوث التى تنعقد كل عام فى مصر ، وما تسفر عنه الدراسات والابحاث فى الاقسام العليا فى كليات الشريعة والحقوق ، وما ينبغى أن يقوم به أساتذة الفقه الاسلامى من اجتهادات ودراسات جادة تتلاءم مع ظروف العصر وحاجات أهله ، ولا تتعارض مع نصوص الشريعة ومقاصدها وأهدافها العامة ، والروح التشريعية ، وعمل المسلمين المستمر ، والثابت غير المتعارض من سنة النبى العظيم عليه أزكى الصلاة والسلام . لذا فان الاسلام سيظل رغم أنف الحاقدين قلعة صامدة لا تنتهى ، وأن تنكر له بعض الأذلة ، وإيماننا ببقائه وصلاحيته على مر الدهور جزء لا يتجزأ من عقيدة المسلم : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ » . « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » . « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » .



## كتاب الشهر



# العلم والدين في الفلسفة المعاصرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣

تأليف : اميل برترو  
ترجمة الدكتور أحمد فؤاد الاهواني  
عرض وتحليل : الدكتور يوسف نوفل

اميل برترو مؤلف الكتاب فيلسوف فرنسي معاصر ، عاش معظم حياته في  
أواخر القرن التاسع عشر ، وتوفي بعد الحرب العالمية الأولى ، يقوم منهجه في  
البحث على رد الدين الى عناصره ، والى تحليل العلم وتبيين أصوله التي يعتمد  
عليها ، وبيان الصلة بين دائرتي الدين والعلم ، وما يمكن أن تنتهي اليه العلاقة  
بينهما من وفاق أو خصام ، وعلى الرغم من معاصرة هذا الفيلسوف الفرنسي  
لموجة الالحاد فإنه يدافع عن الدين ، وكأنه كان مبشرا بما آل اليه العلم من  
تقارب شديد من الدين في وقتنا الحاضر .

ومن الملاحظ أن المؤلف لم يتناول كلية أمرا من أمور الدين الاسلامي ، وكذلك  
لم يتناول شيئا عن البوذية مع أنها من أوسع الديانات انتشارا ، ومن الواضح  
أن ذلك يرجع بالدرجة الأولى - في تصورنا - الى جهله الاسلام ، ففاقد الشيء  
لا يعطيه ، وربما كان من الأسباب أيضا ندرة المواقف المبحوثة حول علاقة  
الدين بالعلم في الشرق الاسلامي ، وخصوصا في الأزمنة المتقدمة من العصر  
الحديث .

ومما يجدر بالذكر أن بعض فقرات هذا الكتاب ترجمها الشيخ مصطفى عبد الرزاق في كتابه : « الدين والوحى والاسلام » .  
وتأتى أهمية الموضوع المثار فى أن « الدين روح الأمة وسبب من أسباب وحدتها وعلّة فى اتخاذها وجهة تشكيلها وتطبع سلوك أفرادها على هيئة خاصة بحسب الدين الذى يعتنقه هؤلاء الأفراد ، ولست تجد أمة تخلو من دين ، حتى البدائيين الذين كانوا يعبدون الحجر والشجر والشمس والقمر ، لأن الدين عبادة تقتضى عبادة ومعبودا ، وتستلزم أن يكون المعبود مقدسا ، وقد مرت البشرية فى أدوار كثيرة فى تدينها حتى بلغت الأديان السماوية التوحيدية ، كان الناس يعبدون مظاهر الطبيعة وكل ما يجلب لهم الخير أو ينزل بهم الضر ، فآلهوا البقر كما آلهوا البرق والرعد ، ثم انتهى الأمر بالبشر الى تأليه كل قوة طبيعية ومن هنا نشأ تعدد الآلهة .

ثم أضفى الناس من خيالهم على هذه القوى التى آلهوها الخرافات ، وحكوا عنها الأساطير فكانت أقدم الديانات عند قدماء المصريين وعند اليونانيين خرافية — أو مثيولوجية — ولكن تقدم البشرية فى البحث والتأمل والتفكير أفضى الى أمرين : الأول الخروج من التعدد الى التوحيد ، كما حدث فى عصر اخناتون ، والثانى تجريد الآلهة من مظهرها المادى المتشخص فى المثيولوجيا واعتبار الآلهة الواحد هو القوة العليا والكمال المطلق ليس كمثله شئ .  
وتتشترك الديانات السماوية الكبرى فى اعتقادات تعمها هى الاعتراف بوجود الله وأنه خلق العالم بعد أن لم يكن ، وأنه بعث الانبياء والرسل لهداية البشر ، وأن الناس جميعا على موعد مع اليوم الآخر حيث الحساب ، وحيث الجنة أو النار .

وعلى رأس الأمور التى تشغل البال الايمان بوجود الله ، مهما انشغل الانسان بأمر الدنيا ، ومهما حاول التغلب على صعابها بوسائل يصطنعها فى حياته وفى أموره اليومية ، وفى سبيل ذلك يسخر الكون بما فيه لخدمته ، ومن هنا يأتى العلم ودوره حيث تقدم بخطوات هائلة وخصوصا منذ القرن الثامن عشر الى أن توصل الانسان الى معرفة سر المادة وتركيبها ، وانتقل من عصر البخار الى عصر الكهرباء الى عصر الذرة .

هذا العلم الذى يقوم على التجريب ، على المشاهدة والملاحظة والاحصاء أثار سؤالا هاما لدى الناس هو : لم لا نطبق المناهج العلمية على الدين وبخاصة بعد تطبيقها على ظواهر انسانية أخرى مثل النفس الفردية والنفس الاجتماعية حيث نشأ علمان جديدان هما : علم النفس وعلم الاجتماع ؟

وهذا سؤال هام ، فهل يمكن أن يخضع الدين للمناهج العلمية ؟ وهل اذا طبقنا المناهج العلمية على الدين يزيد ايماننا بالدين أو تتزعزع قواعده باعتبار أن أساس الدين هو الوحى أو هذه الصلة بين الله والانسان ؟

فى القرن التاسع عشر سار العلم فى طريق معاد للدين وانتشرت فى أوروبا موجة شديدة من الالحاد باسم العلم . ذلك أن العلم كان ينادى بالحمية التى تعنى أنه اذا ما توافرت الشروط والاسباب تحتم وقوع النتائج ، وبناء على ذلك يكتفى العالم بنفسه ولا حاجة به الى علة أخرى خلاف وجود المادة وحركتها وتطورها وسيرها فى طريقها المحتوم ، ولكن العلم منذ صدر القرن العشرين بدأ يرى أن الحتمية غير ضرورية ، وأن القانون الذى يحكم العالم هو قانون الاحتمالات ، وبذلك انفسح المجال للقول بقوة عليا تسير العالم خارج نفسه ، ولذلك نرى فى الوقت الحاضر موجة من التدين تعم أرجاء العالم باسم العلم ذاته ، وقد ترجم فى مصر

الى اللغة العربية كثير من الكتب الحديثة التي تحت على الايمان عن طريق العلم  
مثل كتاب : العلم يدعو الى الايمان ، وكتاب : الله يتجلى فى عصر العلم ، وغير  
ذلك ، وراجت هذه الكتب رواجاً عظيماً ، وطبعت أكثر من مرة ، مما يدل على  
تعطش قراء العربية الى مثل هذا النوع من الدراسات ، ولا غرابة فى ذلك ،  
فنحن نعيش فى عصر العلم الذى تغفل فى جميع شئون الحياة ، وأصبح تفكيرنا  
فى الأغلب الأعم تفكيراً علمياً .

### خطة الكتاب :

يقع الكتاب فى مقدمة وجزأين ، الجزء الأول هو سوعه النزعة الطبيعية  
ويتكون من أربعة أبواب : الباب الأول عن أوجست كومت ودين الانسانية ، وفيه  
نلتقى ببحث مذهب أوجست كومت ، وتأويل المذهب ، وقيمه ، وفى الباب الثانى :  
نلتقى ببحث عن هربرت سبنسر وما لا يمكن معرفته ، وفى ذلك يصنع المؤلف  
مع سبنسر ما صنعه مع كومت ، أما الباب الثالث ففيه الحديث عن هيكل  
والوحدانية ، وفيه الحديث عن مذهبه ، وقيمة هذا المذهب ، والفلسفة  
الاخلاقية . أما الباب الرابع فيتحدث عن المذهب النفسانى والمذهب الاجتماعى  
وفيه نلتقى بالتفسير النفسانى والتفسير الاجتماعى ، ونقد المذهب الاجتماعى  
والنفسانى .

أما الجزء الثانى فهو موضوعه النزعة الروحية وفيه حديث فى الباب الأول عن  
ريتشل والثنائية المتطرفة ، ثم حديث عن الريتشالية ، ثم عن قيم الريتشالية .  
أما الباب الثانى فعن الدين وحدود العلم وفيه دفاع الدين ، وحديث عن  
صعوبات المذهب ، وحديث عن العلم باعتباره يتجه نحو الدين ، ثم حديث عن  
بعض الصعوبات القائمة .

أما الباب الثالث فهو عن فلسفة العقل وفيه حديث عن البرجمانية ، وعن  
تصور للعقل الانسانى ، وملاحظات نقدية ، ثم تنتقل الى الباب الرابع وفيه حديث  
عن وليم جيمس والتجربة الدينية ، وحديث عن مذهب وليم جيمس ، وملاحظات  
نقدية ، ثم خاتمة مفصلة .

\*\*\* \*\*

يرى المؤلف أن أمر العلاقات بين الدين والعلم حين يراقب فى ثنايا التاريخ  
يثير أشد العجب ، فانه على الرغم من تصالح الدين والعلم مرة بعد مرة ،  
وعلى الرغم من جهود أعظم المفكرين التى بذلوها ملحين فى حل هذا المشكل  
حلاً عقلياً ، لم يبرح العلم والدين قائمين على قدم الكفاح ، ولم ينقطع بينهما  
صراع يريد كل منهما أن يدمر صاحبه لا أن يغلبه فحسب ، على أن هذين  
النظامين لا يزالان قائمين ، ولم يكن مجدياً أن تحاول العقائد الدينية تسخير  
العلم ، فقد تحرر العلم من هذا الرق وكأنها انعكست الآية منذ ذاك ، وأخذ  
العلم ينذر بفناء الأديان ، ولكن الأديان ظلت راسخة وشهد بما فيها من قوة  
الحياة عنف الصراع .

فاذا نظرنا الى المذاهب التى تلخص الأخطار الراهنة عن علاقة الدين بالعلم  
وتعرفها ، رأينا أنها تتوزع مجموعتين ، تمثل احدهما ما يمكن بالنزعة الطبيعية ،  
 وتمثل الأخرى النزعة الروحية .

وقد وضع المؤلف فى النزعة الاولى على سبيل المثال : مذهب أوجست  
كومت الوضعى أو دين الانسانية كما يقال ، ومذهب « هربرت سبنسر » فى

التطور ونظريته فيها لا يمكن معرفته ، ومذهب هيكال الواحدى الذى يفضى الى دين العلم ، والمذهب النفسانى والاجتماعى اللذان يردان الظواهر الدينية الى مظاهر طبيعية للنشاط النفسى او الاجتماعى .

وقد ادخل فى النزعة الثانية : ثنائية « ريتشل » المتطرفة التى تنتهى الى التمييز بين الايمان والاعتقادات ، ومذهب حدود العلم ، وفلسفة الفعل باعتبار انها تربط العلم بالدين بمبدأ مشترك ، ومذهب التجربة الدينية كما يعرضه ولیم جيمس .

ويضيف المؤلف الى ذلك قوله انه : « لو نظرنا نظرة كاملة لأضفنا الى هذا الثبت مذاهب أخرى كثيرة ، ومع ذلك فهذه الأمثلة كافية فى بيان عنف ومثابرة وأسلحة هذا الصراع المتجدد على مر العصور ، ومن الجراة أن نتنبأ بنتيجة هذا النزاع باسم المنطق وحده ، لأن أنصار كل قضية منهما يلحون منذ زمن طويل فى الجدل دون أن ينجحوا فى اقناع بعضهم بعضا ، أما أن نقطع فى هذه المسألة بأن نرسم بادئ ذى بدء خط التطور التجريبي للتطور المستخلص من التاريخ او الذى يظن استخلاصه منه ، فهو أيضا منهج شديد السذاجة ، ولا يكفى أن يصبح الشئ قديما ليقتررب من نهايته ، وليس الحال بالضرورة فى حياة الأفكار والعواطف والمعنويات كالحال فى حياة الأفراد ، بل أكثر من ذلك عندما تموت هذه الأمور فقد يمكن أن تولد من جديد ، وبخاصة اذا طال عليها أمد النسيان ، وهذا هو شأن الثورات التى تكون أعنف بمقدار ما تحيى مبادئ أقدم ، فعندما أراد روسو أن يجدد العالم رجع الى الطبيعة باعتبار انها أقدم من سائر التقاليد ، هذا الى أن التاريخ يقدم لنا ألوانا من التطور يلوح انها تتجه وجهة محدودة كما يقدم لنا كذلك حركات منتظمة تطور احدى مراحلها هو نهاية مرحلة مضادة لها ، ان سير الامور الانسانية يبلغ من التعقيد حدا يمنعنا من الانتقال من تطور معين الى أسبابه الميكانيكية المحددة له ، هذه الأسباب التى بدون معرفتها لا يتسنى التنبؤ العلمى الصحيح .

وإذا صح أن الدين والعلم يمكن تشبيههما بالأحياء ، فكيف نقيس حيويتهما ومستودع طاقتهما ، وإمكانات يقظتهما ، السنا نرى اليوم أن بعض علماء الطبيعة يفسرون التغيرات المفاجئة التى تظهر أحيانا فى بعض الأنواع الطبيعية بخصائص ظلت كامنة الى ذلك الوقت حتى جاء الظرف الملائم لظهورها فجأة ، فبدلا من التنبؤ عن مستقبل الأديان بأحكام أقرب الى اليسر منها الى التحقيق ، قد يكون من المفيد أن ننظر الى حالة كل منهما الراهنة ، وأن نحدد بمقتضى هذه الدراسة طريقة تصور العلاقات بينهما ، وهى طريقة تبدو كما يقول أرسطو ممكنة ومناسبة فى آن واحد .

### الصلة بين الروح العلمية والروح الدينية :

يقول المؤلف : « أيهما أجدر بالبحث أولا الدين أم العلم ؟ لم يكن ذلك أمرا ذا بال فى الزمن القديم أما اليوم فلم يعد الأمر كذلك ، فقد تحرر العلم كما يقال فى التعبير المشهور ، وفى الوقت الذى لم يكن للعلم من يقين سوى ما تخلعه عليه بعض المبادئ الميتافيزيقية التى كان ينسق بها ظواهر الطبيعة ، وجد فى التجربة مبدأ خاصا به باطنا فيه ، منه تستمد على السواء بغير معونة سوى معونة النشاط الفكرى المشترك ، الوقائع التى هى مادة عمله ، والقوانين التى بها ينظم تلك الوقائع » .

## الروح العلمية

بدأت الروح العلمية مع ديكارت ، وبوجه خاص مع كانط ، محدودة بصورة ثابتة عن طريق الشروط المنطقية للعلم ، وطبيعة العقل البشرى ، وقد ذهب ديكارت الى النظر الى سائر الأشياء من زاوية تسمح بردها مباشرة أو بالواسطة الى عناصر رياضية ، أما عند كانط فالروح العلمية هي الاثبات — أوليا — للرابطة الضرورية بين الظواهر فى الزمان والمكان ، وبعد أن تسلح العقل بهذه المبادئ ، نزل الى الميدان بعزم جديد يكشف عن قوانين الطبيعة ، وخيل اليه أثر النجاح الذى لقيه أنه قد وضع يديه من الآن فصاعدا على الصورة الأزلية المطلقة للحقيقة غير أن هذا الرأى قد تعدل حين اختبرت من قريب الطريقة التى بها يتكون العلم وشروط نموه ، ويقينه .

ويلوح من الثابت اليوم أن الروح العلمية ، وكذلك مبادئ العلم ليست معطلة مقررة ، بل تكون نفسها كلما تجدد العلم وتقدم ، فمن جهة العقل يصنع العلم الذى لا ينفصل عن الأشياء ، كما ينفصل العنصر عن المركب الكيميائى ، ومن جهة أخرى يؤثر المصنوع فى الصانع ، اذ ليس ما نسبته بالمقولات العقلية الا مجموع العادات التى كونها الذهن فى عمله لتمثل الظواهر فهو يلائم بينها وبين غاياته ، ويلائم بين نفسه وبين طبيعتها ولا تتم هذه الملاءمة الا بضرب من التوفيق .

## الروح الدينية :

قد يبدو المؤلف ذا ميل كبير الى الاعتقاد بأن العلم ينبع من العقل ، وأن الدين خارج عنه ، يقول المؤلف : « من أيسر الأمور لحل هذه المسألة أن نقرر أن الروح العلمية لها وحدها كل ما هو جوهرى فى العقل البشرى ، وأن جميع الآراء أو النزعات التى بوساطتها تجلت الروح العلمية على مر العصور ، لها فى مبادئ العلم تعبيرها الوحيد المحقق والمشروع ، وعندئذ فكل ما هو خارج عن العلم ، فهو من أجل ذلك خارج العقل ، وحيث كان الدين بالضرورة شيئا آخر خلاف العلم ، فهو أوليا من بين مواد التجربة الخام التى من شأن العلم أن يحيلها الى رموز موضوعية ، قادرة أن تصاغ فى ثوب من الحقيقة » .

والواقع أن هذا الرأى فى حاجة الى نقاش ، فالروح العلمية ، تمتلك جوهر العقل بل تعتمد عليه بالدرجة الأولى ، وهذا حق ، لكن الشطر الآخر من القضية والذى يعنى أن كل ما هو خارج عن العلم فهو من أجل ذلك خارج عن العقل ، هذا الشطر يبنى على أساس واه يجعله غير مقبول فى ميدان النقاش ، فافتراض أن الروح الدينية لا تستند الى العقل افتراض غير علمى وغير موضوعى ، فالعقل البشرى فى مجال الاعتقاد أو فى الناحية الدينية يستند الى تراث حضارى دينى يرجع الى آلاف السنين من عمر البشرية ، كانت البشرية فيه خلال هذا العمر الطويل تحاول — دائبة — التوصل الى صيغة سديدة فى مجال الاعتقاد ، وغنى عن البيان تتبع هذا التسلسل الطويل ، والمحاولات المتعددة التى خاضتها البشرية فى هذا الصدد وبتأمل هذه المحاولات — بما فيها من صواب وخطأ ، وهدى وضلال وصيحات أرضية ووحى سماوى — يمكن أن يصل الباحث الى حقيقة هامة ، هي أنه حين استخدم الانسان عقله ، وعمل على ألا يقع فى تناقض ،

وأن يضع الأمور في نصابها ، وأن يتغلب على هواه وعواطفه ، وينتصر عليهما ، أي يحكم عقله ، وصل إلى الحق ، وحين ارتفع صوت الله . سبحانه وتعالى على لسان رسول اليهودية ورسول المسيحية ، ورسول الاسلام ، نطق الحق بأعمال العقل والتفكير والنظر ، فهذا تساؤل : هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ ، وهذا حض على أعمال العقل ، وهذا تساؤل : أفلا يتدبرون ؟ ، أفلا يعقلون ؟ ، وغير ذلك مما يكثر حصره من آيات القرآن الكريم التي تشيد بالعقل واللب والفكر والنظر ، وتأمر بهما ، وتلوم من يبعد عن نطاقهما .

وقد يحلو هنا الرجوع إلى كلام المؤلف لبيدو إيمانه بما نذهب إليه ، أو بما هو واقع أنه يعود مرة أخرى إلى القول بأن الإيمان الحق هو ما يقوم على العقل ، وأن هناك صلة قوية بين الدين والعلم ، يقول : « الإيمان ، لسنا نقصد الإيمان الأعمى بل الإيمان الذي يسترشد بالعقل ، والفطرة ومعنى الحياة والمثل والتقاليد ، ولا شيء من هذه الأمور يوجد فيه الباعث العلمي الذي يسمح لنا بالقول : هذا موجود ، ولما كان المقصود هو توجيه العقل في طريق يختلف عن النتيجة الميكانيكية للأشياء فمن المستحيل هنا أن يكون العلم كافيا ، ولا تزال عبارة القديس أوفسطين التي لفتت نظر بسكال صحيحة ، وهي : أننا نعمل للمجهول ، والحياة بالنسبة إلى الإنسان الذي يفكر رهان ، ولا يمكن أن نتصور أن تكون غير ذلك .

يترتب على هذا الشرط الأول شرط ثان ، فالإيمان ليس بالضرورة قبولا سلبيا لما هو موجود ، على العكس أنه قادر على اتخاذ موضوع لم يوجد بعد ، ولا يبدو أن يكون واجبا ، ولعله يكون مستحيلا لولا هذا الإيمان نفسه ، ولهذا السبب كان الإيمان في الإنسان بوجه غام ، وفي الصفوة الممتازة بوجه خاص ، يولد موضوعا من الفكر يختلف في جذته ، فهو ادراك عقلى أصيل يركز فيه بصره ، والإنسان الذي يريد أن يعمل كإنسان فلا بد له من غاية ، وكلما كان الإيمان شديدا قويا كانت هذه الغاية مثلا أعلى يختلف في سموه وتميزه عن الواقع ، فالإيمان أولا لا يبصر موضوعه إلا غامضا ، وعلى بعد ، وفي الغيوم ، ولكنه يجتهد في تحديده بما يطابق حاجة العقل والإرادة فهو يحدد شيئا فشيئا كلما عمل على تحقيقه .

وأخيرا ينشأ عن الإيمان الخالق والموضوع الذي ينصبه أمامه ، شرط ثالث للفعل هو المحبة ، فالإرادة تعشق مثلها الأعلى بمقدار ما يتلون هذا المثال بظلال أكثر جمالا وحياة بالتأثير المؤتلف من الإيمان والعقل . فهذه هي الشروط الثلاثة للفعل الإنساني : الإيمان ، والمثل الأعلى ، والحماسة ، ولكن ليست هذه هي بالضبط المراحل الثلاث لنمو الروح الدينية ؟ إلا تعبر هذه الألفاظ الثلاثة تعبيراً أميناً عن الصورة التي تلبسها الإرادة والعقل والعاطفة بتأثير الدين .. ؟

فالحياة أذن ، من أحد وجوهها ، تعنى من جهة مطامحها المثالية ، تشارك مشاركة طبيعية في الدين ، وإذا كان من الواضح من جهة أخرى لا من جهة صلة الحياة الإنسانية بالطبيعية أنها تشارع في العلم لأنها تطلب منه وسائل بلوغ غاياتها ، فقد يبدو من الصواب أن نرى في الحياة همزة الوصل بين العلم والدين » .

وهناك كثير من المفكرين يعترضون على المكانة التي ننسبها إلى الدين في حياة الإنسان ويقولون : كان من المباح للدين — إلى عهد قريب — أن يعمل على

تقدم الإنسانية ، لأن الأخلاق كانت الى حد ما متوقفة عليه ، ولكن هذا التضامن بينهما لم يكن إلا عارضا مؤقتا ، فقد نشأ الدين والأخلاق تاريخيا ونما كل منهما بعيدا عن صاحبه ، بل ان تقدم الأخلاق نفسه هو الذى أرغم الدين أن يتلاءم وإياه ، وأن يصطنعه ، ولكن كما أنها نشأ فى ابتداء الأمر مستقلين ، فكذلك هما فى الوقت الحاضر فى طريق الانفصال ، وأصبحت الأخلاق منذ أن تحررت وأضحت شبيهة بغيرها من العلوم كافية ، وكافية جدا فى توجيه الإنسانية .

طريق الانفصال ، وأصبحت الأخلاق منذ أن تحررت وأضحت شبيهة بغيرها من العلوم كافية ، وكافية جدا فى توجيه الإنسانية .

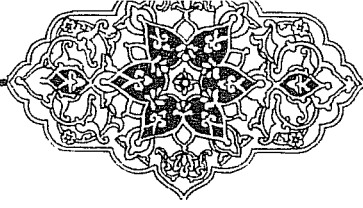
والمؤلف هنا ينشط فى بيان أهمية الدين ويرد على من يقلل من هذه الأهمية فهو يرى أن الدين يستهدف تحويل الناس والأشياء من الباطن لا من الخارج ، بالاعتقاد والمثال والمحبة والصلاة ، واتصال النفوس ، لا بالقهر أو بالسياسة ، ومن البين أنه ليس على الدين أن يخشى تقدم العلم أو الأخلاق أو النظم .

ويأخذ المترجم على المؤلف — ونوافقه كما يوافقه القارئ على ذلك — يأخذ عليه أنصرافه عن الإسلام تماما فهو يتحدث عن المسيحية ويقول : « وهى آخر ما شهدته الإنسانية من الأديان الكبرى » ويثبت بذلك جهله بالإسلام وهو خطأ فادح يقع فيه فيلسوف كهذا فخراتهم الديانات هو الإسلام وليس المسيحية ، وخاتم الأنبياء والمرسلين هو محمد عليه الصلاة والسلام وليس المسيح عليه السلام ، كيف يغيب عن المؤلف ذلك والإسلام ينتشر بين أكثر من أربعمائة مليون مسلم ينتشرون فى بقاع الأرض . ؟

ومع هذا كله فالكتاب يعد بحثا أصيلا فى تقريب الهوة المصطنعة بين العلم والدين ، وفى ذلك تأكيد للحق والصواب ، يقول المؤلف :

« والأمر كذلك بالنسبة الى الدين والعلم ، فالنزاع يشمل أحدهما كما يشمل الآخر ، وإذا ساد العقل فسينبثق من مبادئها المتميزة بعد أن أصبحت أعظم وأقوى وأطوع ، صورة من الحياة على الدوام ، أضخم وأغنى وأعمق وأكثر حرية وجمالا وفهما ، ولكن هاتين القوتين المحتفظتين كل منهما باستقلالها الذاتى ، لا يمكن إلا أن يسيرا فى طريق السلام والتوافق والائتلاف ، دون أن يزعا أبدا بلوغ الغاية ، لأن هذا هو شرط الحياة الإنسانية » .





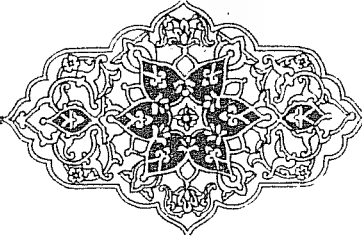
# النهي في نصوص التشريع الإسلامي ودلائله على الأحكام

للدكتور : محمد سلام مذكور

عرضنا في مقال سابق الأمر في نصوص التشريع الإسلامي ودلالته على الأحكام ، واثرننا فيه الى أن كلا من الأمر والنهي تدور حولهما أغلب الأحكام التكليفية ، لأن الأحكام الشرعية الخمسة : « الواجب والمنسحب والحرام والمكروه والمباح » تدور في نصوص التشريع الإسلامي الواردة في الدليلين الرئيسيين : الكتاب والسنة حول الأمر والنهي وصيغ كل منهما . فهما إذا الركن الأساسي الأعظم للأصوليين والفقهاء .

ولما كان النهي قسّم الأمر ومقابلته حتى أن الأسنوي قال : ان البيضاوي لم يعرفه لكونه معلوما من حد الأمر . اقتضى هذا أن نفرد هذا المقال للتعريف بالنهي وبيان صيغته ودلالته على الأحكام على سبيل الحقيقة والمجاز وإفادة المرة أو التكرار والفور أو التراخي ، وما قاله الأصوليون في اقتضاء النهي فساد المنهى عنه ، وفي متعلق النهي .





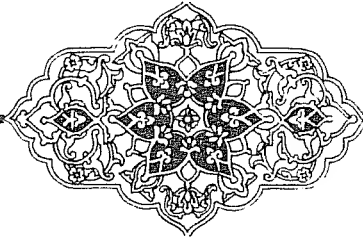
## تعريف النهى :

النهى فى اللغة بمعنى المنع يقال : نهاه عن كذا أى منعه عنه ، ومنه سُمى العقل نهية لأنه ينهى صاحبه عن الوقوع فيما يخالف الصواب ويمنعه عنه . وعلى مسلكنا فى تعريف الأمر فى الاصطلاح الأصولى يكون النهى هو اللفظ الدال على طلب الكف عن فعل شئ **جزماً** على سبيل الاستعلاء . . . وقصدنا بتعبير « جزماً » ابعاد الصيغ المستعملة للكراهة اذ المكروه ليس بمنهى عنه حقيقة لأن موجب النهى وجوب الانتهاء لقوله سبحانه وتعالى : **« وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »** ( الحشر ٧ ) ، أما كلمة الاستعلاء فان القصد من ذكرها فى التعريف اخراج ما كان لمجرد الالتماس والدعاء والارشاد وغير ذلك من المعانى التى استعملت فيها صيغة النهى فى نصوص التشريع الإسلامى على ما سنذكر بعد .

## صيغ النهى :

ورد النهى فى الكتاب والسنة بصيغ مختلفة نستطيع أن نرجعها الى الآتى :

- ١ — صيغة المضارع المسبوق بلا الناهية : وهذا هو الاصل فى صيغ النهى ، وأكثرها استعمالاً فى اساليب التحريم . ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : **« لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى »** ( النساء ٤٣ ) . وقوله جل شأنه : **« ولا تطع كل حلاف مهين »** ( القلم ١٠ ) وقوله : **« ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلاً »** ( الاسراء ٣٢ ) وقوله : **« ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً »** ( الاسراء ٣٧ ) .
- ٢ — كل لفظ آمر يدل على طلب الكف والمنع مثل الأمر بالاجتناب فى قوله تعالى : **« فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور »** ( الحج ٣٠ ) وقوله : **« إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه . . »** ( المائدة ٩٠ ) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : **« اجتنبوا السبع الموبقات . قيل وما هن يا رسول الله ؟ قال : الاشرار بالله ، والسحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، وعقوق الوالدين ، وقذف المحصنات المؤمنات ، والتولى يوم الزحف »** ومثل ( ذر ) فى قوله تعالى : **« اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع »** ( الجمعة ٩ ) ومثل : ( دع ) فيما روى من الأثر : **« دع ما يريبك الى ما لا يريبك »** . .



٣ — مادة التحريم ومشتقاتها مثل قوله تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم ٥٠ » ( النساء ٣٢ ) وقوله : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ٥٠ » ( المائدة ٣ ) وقوله : « وإن ياتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم أخرجهم » ( البقرة ١٨٥ ) وقوله : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم ٥٠ » ( الأنعام ١٤٦ ) وقول الرسول عليه السلام : « إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات وواد البنات ومنعا وهات » .

٤ — مادة النهي ومن ذلك قوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر » ( النحل ٩٠ ) وقوله : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم أن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » ( المتحنة ٨ و ٩ ) .

٥ — نفى الحل . ومن ذلك قوله تعالى : « لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها » ( النساء ١٩ ) وقوله : « ولا يحل لكم أن تآخضوا مما آتيتوهن شيئا » ( البقرة ٢٢٩ ) وقوله عليه السلام : « لا يحل دم امرئ مسلم ٥٠ » .

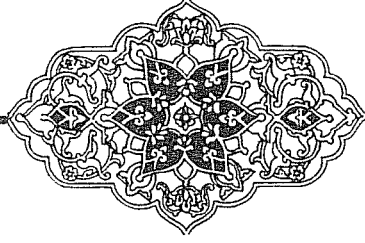
٦ — ترتيب الشارع العقوبة على الفعل ، ومن ذلك قوله سبحانه : « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة » ( النور ٢٣ ) وقوله جل شأنه : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » .

#### المعاني التى تستعمل فيها صيغة النهى :

ترد صيغة النهى فى نصوص التشريع الإسلامى دالة على عدة معان مقصودة من النهى حصرها بعض الأصوليين فى سبعة ، ومنهم من قال : إن هذه السبعة ليست على سبيل الحصر ، وإنما تزدد لمعان أخرى واليك البيان :

١ — تستعمل صيغة النهى لانادة التحريم . ومن ذلك قوله سبحانه : « ولا تقتلوا أولادكم من أملق نحن نرزقكم وإياهم » ( الأنعام ١٥١ ) وقوله : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق » .

٢ — وتستعمل لانادة الكراهة ومن ذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع » ( الجمعة ٩ ) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تصلوا فى مبارك »



**الإبل ) وقوله كما يرى الحنفية « لا يبيع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه » .**

٣ — تستعمل لإفادة الإرشاد . ومن ذلك قوله تعالى : « لا تسالوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم » ( المائدة ١٠١ ) .

٤ — تستعمل لإفادة الدعاء . ومن ذلك قوله تعالى : « ربنا لا تؤاخذنا أن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا أصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به . » ( البقرة ) وقوله : « ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا . » ( آل عمران ٨ ) .

٥ — وتستعمل لإفادة التحقير . ومن ذلك قوله تعالى : « لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم » ( الحجر ٨٨ ) .

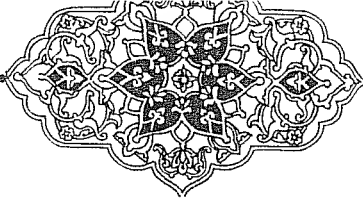
٦ — وتستعمل لبيان العقوبة . ومن ذلك قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » ( آل عمران ١٦٩ ) وقوله : « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون » ( إبراهيم ٤٢ ) .

٧ — وتستعمل لإفادة اليأس . ومن ذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم . » ( التحريم ٧ ) .

هذه هي المعاني السبعة التي قال بعض الأصوليين بأن صيغة النهي ينحصر استعمالها فيها لكن قد ينتج التتبع والاستقراء استعمالات أخرى لها على غرار ما قلناه في المثال السابق بالنسبة لما تستعمل فيه صيغ الأمر ، وفي ذلك يقول الأسنوي : أن صيغ النهي تنحصر استعمالاتها في هذه المعاني السبعة وقد ذكرها الغزالي والآمدی . لكن صاحب فواتح الرحموت على مسلم الثبوت قال بعد أن ذكر هذه المعاني السبعة : « وقد تجيء صيغة النهي لمعان أخرى كالتسوية والتهديد والالتماس » .

### **ما وضعت له صيغة النهي على سبيل الحقيقة :**

وبناء على هذه الاستعمالات المتعددة المتنوعة فإن من الأصوليين من اعتبر أن النهي من قبيل المشترك على أساس أن صيغته وضعت في أصل اللفظة للدلالة على أكثر من معنى واحد على سبيل الحقيقة والقرينة هي التي تعين المراد بالاستعمال . ومنهم من جعل النهي من قبيل الخاص الذي هو اللفظ الموضوع للدلالة على معنى واحد على سبيل الانفراد . ومن هؤلاء الحنفية إذ يرون أن صيغة النهي وضعت للدلالة على التحريم خاصة على سبيل الحقيقة ، وأن استعمالها في غير ذلك يحتاج إلى قرينة ويكون استعمالا مجازيا ، والواقع أن جملة الأقوال فيما تستعمل فيه صيغة النهي على سبيل الحقيقة أربعة اليك بيانها :



١ - يرى جمهور الأصوليين أن النهى حقيقة فى التحريم وضع لذلك خصوصاً . يقول الشوكاني وهو الحق « وأنه يرد فيما عدا ذلك مجاز » وما ورد فيه على سبيل الحقيقة قوله تعالى : « **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق** » ( الأنعام ١٥١ ) وقوله : « **ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً** » ( الإسراء ٣٢ ) واستدلوا بأن العقل ينتهى عند سماع صيغة النهى المجردة عن القرائن الى تحريم المنهى عنه ، وبأن السلف الصالح كانوا يستندون فى تحريم الشيء الى مجرد علمهم بالنهى عنه . وهذا القول فيما نرى أرجح الأقوال لأنه المتبادر للذهن ولقوله تعالى : « **وما نهاكم عنه فانتهوا** » ( الحشر ٧ ) فهو أمر بالانتهاء يقتضى وجوبه .

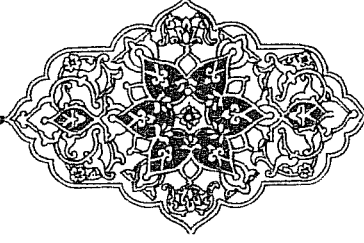
٢ - ويرى البعض أن صيغة النهى حقيقة فى الكراهة بخصوصها فتكون حقيقة فيها ومجازاً فى غيرها واستدلوا على ذلك بأن الكراهة طلب الترك مع عدم المنع من الفعل والتحريم طلب الترك مع المنع من الفعل . ولما كان الأصل عدم المنع عن الفعل كانت الكراهة موافقة للأصل فتكون صيغة النهى وضعت لها حقيقة . ويمكن الرد على هذا الاستدلال بأن السابق الى الفهم عند التجرد من القرائن هو التحريم . والكراهة إنما تستفاد بالقرينة .

٣ - ويرى بعض آخر أن النهى مشترك بين افادة التحريم والكراهة ، وصيغته حقيقة فى كل منهما . ويمكن رد هذا بما قلنا من أن المتبادر للذهن هو التحريم عند انعدام القرائن فانتهى الاشتراك اذ لو كان مشتركاً بمعنى أن اللفظ وضع لافادة كل منهما على سبيل الحقيقة لما تبادر للذهن عند انتفاء القرينة أحدهما .

ويرى آخرون أن المستفاد من دليل قطعى يكون للتحريم ، والمستفاد من دليل ظنى يكون للكراهة وهذا ما نقله الشوكاني عن بعض الحنفية ورده بأن الكلام فى مفاد طلب الترك بأصل وضع اللغة دون نظر للدليل . ويبدو لنا أن هذا رأى لمحمد بن الحسن من فقهاء الحنفية . فهو الذى قال : أن الحكم الاقتضائى الناهى على سبيل الجزم أن كان دليلاً قطعياً أفاد التحريم وأن كان دليلاً ظنياً أفاد الكراهة التحريمية .

### مفاد النهى بعد الاذن :

سبق أن تكلمنا فى المقال السابق عن مفاد الأمر بعد الحظر وبيننا أقوال الأصوليين فيه وأن ذلك قرينة كما يرى الكثير منهم على افادة مجرد الإباحة . والمسألة هنا لا تختلف كثيراً عما قلناه هناك . فالتقائلون بأن الأمر بعد الحظر يفيد الوجوب . يقولون : أن النهى بعد الاذن يفيد التحريم دون خلاف فقد ورد الاذن بنكاح المتعة فى غزوة خيبر ثم جاء النهى عنها بعد ذلك فأفاد ذلك النهى تحريم المتعة .



أما بالنسبة لمن قالوا : ان الأمر بعد الحظر يفيد الإباحة . فجمهورهم على أن النهي بعد الأذن يفيد التحريم . بل حكى أبو أسحق الإسفرايني الإجماع على أن ذلك لا يكون قرينة للإباحة .  
وهناك من قال : ان النهي اذا كان مسبوقا بالإيجاب أفاد الإباحة . وهو كلام غير مستساغ بحال . اذ كيف يستساغ أن تفهم من قوله تعالى : « **ولا تقتلوا النفس** .. » ( الأنعام ١٥١ ) إباحة القتل . مع أنه ورد الإيجاب بالقتل في قوله تعالى : « **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** » ( التوبة ٥ ) .

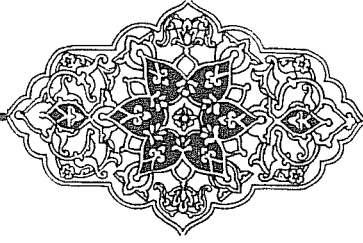
#### **النهي واقتضاؤه التكرار والفور :**

سبق أن بينا أقوال الأصوليين في إفادة الأمر التكرار والفورية في المقال السابق . لكن النهي كما يقول الشوكاني : يخالف الأمر في كونه يقتضي التكرار في جميع الأزمنة وفي كونه للفور فيجب ترك الفعل في الحال لكن البيضاوي في المنهاج يقول : والنهي كالأمر في التكرار والفور ، ويبين الأسنوي هذه العبارة بقوله : ان النهي حكمه حكم الأمر في أنه لا يدل على التكرار ولا على الفور ونقل عن الأمدى وابن الحاجب أنهما صححا أنه للتكرار والفور ، وأن البيضاوي نفسه جزم به في موضع آخر سابق في كتابه . ونقل عن المحصول أنه المشهور ، وعن ابن برهان أنه مجمع عليه . وفي المرقاة وشرحها المرأة ان النهي يوجب دوام الترك لأن معنى ( لا تضرب ) مثلا . لا يصدر منك ضرب . والنكرة في سياق النفي تعم الا اذا قامت قرينة على انتفاء الدوام مثل قوله تعالى : « **لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى** » ( النساء ٤٣ ) .

والذي ننهي اليه في هذا ان النهي يدل على طلب الامتناع فورا لما فيه من مفسدة لا يقرها الشرع ، كما يدل على دوام المنع واستمراره مقاومة لما في الفعل من مفسدة . فالنهي يقتضي انتفاء الحقيقة وذلك يكون بانتفائها في كل الأوقات . فالفور والتكرار من مدلول صيغة النهي وضعا ما لم توجد قرينة صارفة تحدد مدة للبدء او للانتفاء .

#### **اقتضاء النهي فساد النهي عنه :**

من المتفق عليه أن الفعل الذي يقع موافقا للشرع لاشتماله على ما يعتبر فيه شرعا من الأركان والشروط يحكم عليه بالصحة فتترتب عليه جميع آثاره ، كما أن ما اختل فيه ركن من أركانه أو فقد شرطاً من شروط صحته كان غير صحيح فلا تترتب على الفعل نفسه الآثار الشرعية ، وذلك لنهي الشرع عنه لما لحقه من خلل في أصله أو فيما اتصل به وان كان الحنفية ينظرون الى سبب



نهى الشارع فان كان لخلل فى أصله اعتبروه باطلا فلا اعتبار له البتة ، وان كان سبب النهى امر خارج عنه متصل به اعتبروه فاسدا وقالوا : انه وان كان غير معتبر شرعا فلا تترتب عليه نفسه آثار لأن الشارع لا يقره ويوجب نقضه غير أنهم قالوا : اذا تعذر نقضه تترتب بعض الآثار الشرعية على ما هو مبين فى كتب الفقه الحنفى ، وفى كتب الأصول .

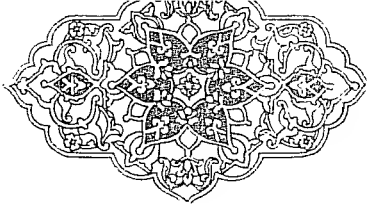
وبعد أن عرفت هذا . نقول : ان المنهى عنه قد يكون امرا من أمور العبادات أو امرا من أمور المعاملات ، والنهى فى العبادات قد يكون الامر خارج لازم كالنهي عن صوم الحائض وصلاتها وقد يكون الامر خارج غير لازم كالنهي عن الصلاة فى المكان المغتصب والثوب المغصوب والنهى عن الوضوء بالماء المغصوب والنهى فى المعاملات قد يكون أيضا الامر خارج لازم كالنهي عن الربا وقد يكون الامر خارج غير لازم كالنهي عن البيع وقت النداء لصلاة الجمعة ، وقد كثر كلام الأصوليين فى هذا وتشعبت أقوالهم فى اثر النهى فى المنهى عنه ، وقد توسعت كتب الحنفية خاصة فى عرض هذا الموضوع نظرا لتفرقتهم بين الفساد والبطلان على ما بيناه فى موضعه .

وجمهور الأصوليين على أن النهى اذا تعلق بالفعل لقبح فى ذاته كان النهى مقتضيا للفساد المرادف للبطلان عندهم .

وقد نقل الشوكانى قولاً بأن النهى لا يقتضى الفساد الا فى العبادات فقط لأن العبادات المنهى عنها لو صحت لكانت مأمورا بها فيجتمع النقيضان : الامر والنهى ، ولولا عدم اقتضائه فساد المنهى عنه فى غير العبادات لكان غسل النجاسة بماء مغصوب ، والذبح بسكين مغصوب ، والبيع وقت النداء لصلاة الجمعة وطلاق البدعة والمباشرة فى فترة الحيض غير مستتبعة آثارها من زوال النجاسة وحل الذبيحة وترتب احكام الطلاق والملك . وهذا باطل فلزم أن النهى فى غير العبادات لا يقتضى فساد المنهى عنه .

وهناك جماعة من الشافعية والحنفية — كما ينقل الشوكانى أيضا . . يقولون : ان النهى لا يقتضى فساد المنهى عنه مطلقا ، عبادة كان المنهى عنه أو غيرها ، ويقول الأسنوى : انه المنقول عن أكثر الفقهاء ويقول الأمدى : انه منقول عن المحققين .

غير أن الشوكانى يقول : الحق أن كل نهى من غير فرق بين العبادات وغيرها يقتضى تحريم المنهى عنه وبطلانه وعدم ترتب أى اثر عليه لعدم اعتبار الشارع له ، الا اذا قامت قرينة خاصة تدل على اعتباره وترتب الأثر عليه . يدل على أن النهى يقتضى فساد المنهى عنه وعدم اعتباره البتة ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « كل امر ليس عليه أمرنا فهو رد » اذ المنهى عنه ليس عليه أمرنا فيكون ردا ، وما كان مردودا كان باطلا . ويدل أيضا ما روى عنه صلى الله عليه وسلم : « اذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم . واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » فقد أفاد وجوب ترك المنهى عنه . اما اذا كان النهى فى وصف اتصف بغير حق مما يعتبر اكلا لأموال



الناس بالباطل ، فجمهور الأصوليين يرون أن النهى يدل على فساد نفس الوصف دون الأصل ، فعقد الربا تبطل فيه الزيادة ، إذ هي المنهى عنها ، ومن الأصوليين من قال : أن النهى فيها يقتضى فساد الأصل أيضا فيبطل العقد كلية .

وفقهاء الحنفية يتفقون مع القائلين بأن النهى يقتضى بطلان المنهى عنه إذا كان النهى عن الشيء لقبح في ذاته . أما إذا كان النهى لوصف اتصل به فيقولون أنه في العبادات يقتضى البطلان . أما في المعاملات المالية فإنهم رتبوا عليه درجة بين الصحة والبطلان . هي الفساد الذى هو أشبه بما يعبر عنه رجال القانون بالبطلان النسبى .

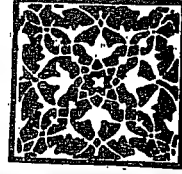
بقى ما إذا كان سبب النهى أمر خارج عن الفعل اقترن به دون أن يكون مؤثرا في حقيقته أو في شروطه كالصلاة في الدار المغصوبة فإن جمهور الفقهاء ومنهم الحنفية على أن التصرف صحيح وإن لحقته الكراهة خلافا للظاهرية وبعض أقوال لبعض الأئمة .

#### متعلق النهى :

متعلق النهى قد يحون أمرا حسيا كالكفر والزنى والقتل والغصب وهذا لم يرد الشرع باباحته في أى ملة ولم يجعله سببا لتحقيق نعمة تعود على مرتكبها كي لا يستفيد من جرمه وقد يكون متعلق النهى أمر شرعى ، وهذا يكون النهى عنه لسبب خارج عن ذاته فتثبت الحرمة لمخالفة المطلوب فقط ، ومع هذا فقد تكون سببا للنعمة في بعض الظروف والأحوال كأكل الميتة للمضطر فإن ما فيها من قبح سقط في الخمصة . أما قبح الكفر والزنى فلا يسقط بشيء حتى قال الحنفية بالنسبة لمن أكره على الكفر : أن الرخصة له في النطق بكلمة الكفر مع اطمئنان قلبه بالإيمان رخصة مجازية لبقاء المحرم والحرمة .

وبعد فلعلمك يا أخى القارىء تغفر لنا هنا ما سببناه لك من جهد ذهنى بعرض هذا الموضوع وسابقه لما فيهما من عمق ودقة ، وإنما أردت أن أضع أمامك دقة الأصوليين والفقهاء وأرشدك الى طريق التعرف على الأحكام الشرعية من الأوامر والنواهي في نصوص التشريع الإسلامى ، والله الموفق للصواب والهادى الى الرشاد .

# حكم الاسرى



## وَالرَّقَّ وَالْإِسْتِرْقَاقَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

بقلم : الأستاذ محمد عزة دروزة

— ١ —

الباحثين من ان الاسلام لم ينشء  
الرق ولم يوجبه وانه كان نظاما شائعا  
فى العالم قبل الاسلام وكان له تأثير  
فى اقتصاديات البيئة العربية وان  
الاسلام عالجها على هذا الاعتبار  
واجازها ونظمه وهدف فى الوقت نفسه  
الى الغائه صحيح ايضا .

وكل ما جاء فى مسدده فى  
القرآن والسنة دار فى هذا النطاق  
وهما فى المتناول . وكفى نير واع  
حصيف يستطيع ان يلح فىهما ذلك  
بكل شمول ووضوح . وليس من  
تعارض بين القول ان الاسلام لم  
يحرمه وبين القول انه هدف الى  
الغائه كما هو المتبادر كما انه ليس  
فى ذلك شطط لانه ملموح فيما جاء  
فى القرآن والسنة .

— ٢ —

ولقد كرم الله الانسان على ما جاء

قرأت المقال القيم للدكتور احمد  
الحجى الكردى فى حكم الرق  
والاسترقاق فى الاسلام المنشور فى  
عدد ذى القعدة ١٣٩٣ من مجلة  
الوعى الاسلامى . وفيه آراء  
صحيحة .

وقد رايت ان اكتب هذا المقال  
لاوضح جوانب اخرى من الامر  
ولاستدرك بعض الاستدراكات .  
وأرجو ان يكون فى ذلك فائدة  
وصواب .

— ٣ —

ان ما جاء فى مقال الدكتور الحجى  
من ان الاسلام لم يحرم الرق وانه  
لا يجوز لمسلم ان يقول انه حرام  
صحيح غير ان ما قاله فريق من



فى القرآن بأساليب متنوعة . ولقد خلق الله الناس أحرارا . والرق طارئ على الانسانية نتيجة ظلم القوى للضعيف والغالب للمفلوب وليس هو من تكوينها الذى يتوقف على ديمومته حياتها وليس هو أصل فى العقائد والمبادئ والأهداف الاسلامية . بل ليس فيه شئ مما هدف اليه الاسلام من عدل وحق وحرية ومساواة وكرامة ، وفيه ما حاربته الاسلام وهدف الى ازالته من ظلم ودونية وتماييز وارهاق وتسلط وحرمان . والاسلام جاء ليكون دين البشرية جمعاء وانطوى فيه الاستجابة لكل حاجة من حاجاتها وحالة من حالاتها ومشكلة من مشكلاتها بما فيه الافضل والاصلاح والانفع والامثل والاعدل على المدى القريب والبعيد معا . فلا بدع أن يعالج الرق معالجة متسقة مع حالة الصدر الاسلامى الاول ثم أن يستهدف إلغاءه فى المدى القريب أو البعيد .

#### — ٤ —

ولقد حث القرآن على عتق الرقاب  
 فى وقت مبكر من العهد المكي ( فلا  
 اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة .  
 فك رقبة .. ) سورة البلد ( ١١ — ١٣ )  
 وحث على انفاق المال على حبه تطوعا  
 لعتقها ( ليس البر أن تولوا وجوهكم  
 قبل المشرق والمغرب ولكن البر من  
 آمن بالله واليوم الآخر والملائكة  
 والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه  
 ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن  
 السبيل والنساء ( وفى الرقاب ... )  
 ( البقرة ١٧٧ ) وجعل ذلك كفارة لليمين  
 ( لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم  
 ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان

فكفارته اطعام عشرة مساكين من  
 أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم  
 أو تحرير رقبة .. ) ( المائدة ٨٩ )  
 وكفارة الظهار ( والذين يظاهرون من  
 نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير  
 رقبة من قبل أن يتماسا . المجادلة ٤ )  
 وكفارة على القتل الخطأ ( وما كان  
 لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل  
 مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية  
 مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا . فان  
 كان من عدو لكم وهو مؤمن فتحرير  
 رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم  
 وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله  
 وتحرير رقبة مؤمنة .. ) ( النساء ٩٢ )  
 وحث مالكى الرقيق على قبول طلب  
 رقيقهم بشراء أنفسهم ( والذين يبتغون  
 الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاوتوهم ..  
 ( النور ٣٤ ) وشرح النبى صلى الله  
 عليه وسلم تحرير الاماء اللاتى يلدن  
 من مالكيهم حال يموتون على ما جاء  
 فى حديث رواه أحمد وابن ماجه عن  
 النبى صلى الله عليه وسلم قال ( ايما  
 امرأة ولدت من سيدها فهي معتقة  
 دبر موته ) وهذا باب واسع جدا .  
 وحث رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم على العتق التطوعى فى احاديث  
 عديدة منها ما يلى :

١ — روى الشيخان والترمذى عن  
 سعيد بن مرجانة قال ( قال لى أبو  
 هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم  
 قال ايما رجل اعتق امرءا مسلما  
 استنقذ الله بكل عضو منه عضوا من  
 النار . قال سعيد فانطلقت الى على  
 ابن حسين فأخبرته فعهد الى عبد له  
 قد اعطاه به عبد الله بن جعفر عشرة  
 آلاف درهم أو الف دينار فاعتقه ( ١ ) .

٢ — روى مسلم والترمذى عن  
 النبى صلى الله عليه وسلم قال ( من

(٢١) التاج ح ٢ ص ٣٥٠ و ١٤٦ وهناك احاديث صحيحة أخرى فيها ما فى هذين الحديثين انظر نفس المصدر .

اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار ( ٢ ) .

٣ - روى الامام أحمد عن البراء بن عازب قال ( جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني عملاً يدخلني الجنة فقال له لئن اقتصرت الخطبة لقد اعرضت المسألة . اعتق النسمة وفك الرقبة . فقال يا رسول الله أوليست واحدة . قال لا أن اعتق النسمة أن تنفرد بعقبتها وفك الرقبة ان تعين في فكها ( ٣ ) ثم بلغ الامر ذروته في جعل تحرير الرقاب واجبا من واجبات الدولة الاسلامية وجزءاً من نظامها المالي وهو ما جاء في آية سورة التوبة هذه ( **انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والفارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله . . ٦٠** ) .

نفى كل هذا دلائل تدعيمية لاستنتاج هدف ازالة الغاء الرق لما فيه من دون ريب من دونية للرقيق وحرمان وارهاق وعذاب وتعارض مع كرامة الانسان وحرية ومجاورة للعدل والحق والمساواة . وطرق عملية لازالتهم والغائه وليس من تفسير لذلك غير هذا .

— ٥ —

ولقد نوه الدكتور الحجي في مقاله بحسن معاملة الاسلام للرقيق ونظرته المختلفة عن نظرة غيره اليه . وقال فيما قال أن الاسر أو استرقاق الاسرى هو مدرسة لتربية الاسير وكبحه . وإذا كان الدكتور يقول هذا في معرض تبرير الرق واسترقاق الاسرى في الاسلام وتبرير دوامهما فلا نظن أن

احدا يمكن ان يوافقه عليه . فالرق واسترقاق الاسرى كانا سائدين قبل الاسلام ولم ينشئهما الاسلام حتى يكون محل لتبريرهما فضلا عن تبرير دوامهما . وانما اجازهما اجازة ونظمهما وحسب وهدف خلال ذلك الى ازالتهما بالطرق القرآنية والنبوية المتعددة مما فيه دلالة على أنه كان يعتبر الرق ظلماً ومجافياً لكرامة الانسان وحرية على ما شرحناه قبل .

ومعاملة الاسلام الحسنة للرق هي من طبيعة الاسلام السمحاء تجاه كل انسان اذا لم يكن فاسقاً مجرماً . وفي آية سورة النساء هذه شاهد على ذلك ( **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم أن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً . .** )

ولقد كان الرقيق عند المسلمين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يتعرضون للتعذيب والارهاق والحرمان وسوء الاستغلال امتداداً لما كان عليه الامر قبل الاسلام حتى روى فيما روى ان بعضهم كان يطلب من امائه ان يؤجرن أجسادهن للزنى فيأخذ اجرتهم وان جملة ( ولا تکرهوا فتياتکم على البغاء ان اردن تحصنا لتنبغوا عرض الحياة الدنيا ومن يکرههن فان الله من بعد أکراههن **غفور رحيم** ) في آية سورة النور ٣٣ ( ٤ ) فكان ذلك مناسبة لما ورد في صدر احسان معاملتهم في القرآن والحديث وفي آية سورة النساء التي أوردناها آنفاً شاهد قرآني . وهذه طائفة من الاحاديث في ذلك .

١ - روى الشيخان وأبو داود

( ٣ ) يروى هذا الحديث ابن كثير في سياق سورة البلد .

( ٤ ) تنبه ان هذا ما روى عن كبير المنافقين .

وصفة الرق تلزم الانسان فى الاسلام اذا كان الرقيق من نسل رقيق قبل الاسلام أو استرقه ولى أمر المؤمنين بعد اسره وسبيه فى حرب شرعية بين المسلمين وبين كفار أعداء معتدين على الاسلام والمسلمين أو من نسلهم . مع التنبيه على أن الاسير يستطيع أن يمنع عن نفسه الرق اذا أسلم قبل قرار استرقاقه .

ولا يصح لولى أمر المؤمنين ومن باب أولى لای مسلم ان يأسر ويسترق كافرا لكفره فقط أو لانه من جماعة كفار . ان لم يكونوا أعداء معتدين محاربين . فالاسلام لم يجعل للمسلمين سبيلا على الكافر المسالم المحايد كما جاء فى آية سورة النساء هذه ( **الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ هَؤُلَاءِ كُفَرُوا بِعَهْدِهِمْ فَلَقَنَاهُمْ جَهَنَّمَ** ) فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم واثابوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا . . ( ٩١ ) . وفى سورة المحتنة هذه الآية ( **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ٨٠٠ ) فلا يصح على هؤلاء استرقاق بالتبعية . وهذا ينسحب على الكافر الذى بينه وبين المسلمين عهد وميثاق ما دام مستقيما على عهده غير ناكث له . وفى آية النساء التى أوردناها آنفا اشارة الى ذلك وفى آية سورة التوبة هذه اشارة اخرى ( **الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ** . أن

عن المعرور بن سويد قال مررنا بأبى ذر بالريذة وعليه برد وعلى غلامه مثله . فقلنا يا أبا ذر لو جمعت بينهما كانت حلة . فقال أنه كان بينى وبين رجل من أخوانى كلام وكسنت أمه أعجمية فغيرته بها فشكاني الى النبى صلى الله عليه وسلم فلقينته فقال يا أبا ذر أنك أمرؤ فيك جاهلية قلت يا رسول الله من سب الرجال سبوا أباه وأمه . قال يا أبا ذر أنك أمرؤ فيك جاهلية . هم أخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فاطعموهم مما تأكلون . والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم . فان كلفتموهم فاعينوهم . ولفظ أبى داود انهم أخوانكم فضلكم الله عليهم فمن لا يلائمكم فبيعه ولا تعذبوا خلق الله ( ٥ ) .

٢ — وروى الترمذى وأبو داود عن ابن مسعود قال ( كنت أضرب غلاما لى فسمعت صوتا من خلفى . أعلم أبا مسعود مرتين الله أقدر عليك منك عليه . فالتفت فاذا هو النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله قال أما لو لم تفعل لمستك النار ) ( ٦ ) .

٣ — روى مسلم وأبو داود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ( من لطم مملوكه أو ضربه فكفارتـه ان يعتقه ) ( ٧ ) .

٤ — روى أبو داود والترمذى عن ابن عمر قال ( جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كم نفعو عن الخادم فصمت فاعاد عليه الكلام فصمت فلما كان فى الثالثة قال فى كل يوم سبعين مرة ) ( ٨ ) . ولا يستطيع احد أن يدعى ان هذا الاعنات والاذلال والحرمان قد زال بعد النبى صلى الله عليه وسلم .

( ٥ ) التاج ج ٢ ص ٢٥١ بعض هذا الحديث أورده الدكتور الحجى ولكنا رأينا أن نوره بنمامه لانه ينطوى على ما أردنا تقريره من أن الرقيق كانوا يتعرضون من بعض المسلمين فى زمن النبى للأرهاق والعذاب وان الحديث كان فى هذه المناسبة .

( ٦ ) ( ٧ ) ( ٨ ) التاج ج ٢ ص ٢٥٢ و ج ٥ ص ١١ وهناك احاديث اخرى فاكفينا بما تقدم .

**الله يحب المتقين ( ١١٠٠ )** وفى القرآن والسنة نصوص عديدة توجب على المسلمين الوفاء بعهودهم . وهذا ينسحب أيضا على الكافر الخاضع للجزية لانه فى حكم المعاهد . وهكذا يكون كل بيع وشراء لبيض وسود وكل معاملة لشخص ما ابيض وأسود كعبد باطلا وحراما أن لم يكن من نسل رقيق قبل الاسلام أو مسترقا من جانب المسلمين من كفار أعداء محاربين لهم أو من نسلهم . ولا يصح لمسلم أن يشتري شخصا كافرا من كافر أو مسلم قد يكون وقع فى أسر كافر واسترقه وباعه على هذا الاساس لان استرقاقه غير شرعى اسلامى .

— ٧ —

ولقد كان المصدر الاكبر للرقيق قبل الاسلام أسرى الحرب وسباياها (٩) وظل ذلك كذلك فى الاسلام . ولقد عالج الله ورسوله هذا الامر معالجة حكيمة ليس من الشطط أن يقال أنها يمكن أن تؤدي الى سد باب هذا المصدر واليك البيان :

١ — أن أول ما نزل من القرآن فى صدد الأسرى هو آيات سورة الانفال هذه ( وما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله

سبق لمسلم فيما أخذتم عذاب عظيم . فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله أن الله غفور رحيم . )

وقد نزلت معاتبه للنبي لانه أخذ أسرى من قريش فى واقعة بدر فقتل بعضهم واطلق سراح معظمهم بالفداء ومن على بعض آخر فاطلق سراحهم بدون فداء . وقد نبهته الآيات الى أنه كان الاولى أن يتشدد فى قتال الكفار وان لا يهتم لأخذ أسرى منهم الا بعد أن يكون قد اثخن فيهم أى القى الرعب فى قلوبهم وجعلهم عاجزين عن القتال والعدوان . ووطد رهبة الاسلام والمسلمين فى قلوبهم . وقد أحل الله له فى الآيات ما أخذه من فدية .

٢ — ثم نزلت آية سورة محمد هذه ( فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها . ) ( ٣ ) .

وواضح أنه ليس من تعارض بين آيات الانفال وهذه الآية . وكل منهما موضح ومتمم للآخرى .

وأسلوب هذه الآية تشريعى يحدد معالجة أسرى الحرب بأحدى الطريقتين وفقا لما يراه المسلمون بعد أن تضع الحرب أوزارها ( ١٠ ) .

٣ — وفى سورة الاحزاب هذه

( ٩ ) — فى سورة الانسان آية ذكر فيها الأسير مرادفا على الأرجح للمبد ( ويطمعون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ) حيث يؤيد هذا كون الأسير هو المصدر الاكبر أن لم يكن الاوحد للاسترقاق والآية مكية أى قبل أن يكون هناك حرب اسلامية يؤسر فيها أسرى حيث يفيد هذا أن هذا المعنى لكلمة الأسير هو ما كان مفهوما قبل الاسلام .

( ١٠ ) — اختلفت تاويلات المؤولين لهذه الجملة فمنهم من قال حتى منتهى الحرب باسلام الكفار ومنهم من قال حتى تنتهى الحرب باسلامهم أو بخضوعهم للجزية أو بصلح معهم . والمن والفداء انما يكونان بالنسبة لانس لم يسلموا لان الاسلام يحررهم من الأسير فيكون المن والفداء بالنسبة لهم غير ذى موضوع . ونرجح هذا القول الذى فيه المرجح على القول الاول ومن الثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ فدية من أسرى وبقوا على دينهم ومن على أسرى وبقوا على دينهم على ما سوف يأتى ذكره بعد وفى سورة الانفال هذه الايات ( يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى أن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم . وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عزيز حكيم ) وهى تؤيد هذا القول حيث يبدو أن الأسرى أو بعضهم وعد بالمسالة أو بالتفكير بالاسلام وان الآية افترضت أن ينكثوا بها وعدوا وان يخونوا فان الى اطلاقهم وهم على دينهم .

الآيات ( وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصبيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطاوها وكان الله على كل شيء قديرا ٢٦ و ٢٧ )

والآية نزلت على ما أجمع عليه الرواة في صدد يهود بنى قريظة الذين نقضوا عهد المسألة مع المسلمين وظاهروا أحزاب كفار العرب وقريش التي زحفت على المدينة في جمع عظيم ليستأصلوا شأمة الإسلام والمسلمين فيها . وقد زلزل المسلمون زلزالا شديدا وزاغت أبصارهم وبلغت قلوبهم الحناجر وخامر بعضهم الظنون في الله وأسفر المنافقون والذين في قلوبهم مرض عن موقف عدائي وكيدى شديد على ما جاء في سلسلة آيات سورة الأحزاب ( ١٠ - ١٥ ) .

وقد روى في صدد ما استحقه بنو قريظة من العقوبة التي ذكرت في الآيات ٢٦ و ٢٧ حديث رواه الشيخان والترمذي عن أبي سعيد قال ( لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ أرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم وكان قريبا منه فجاء على حمار فلما دنا قال صلى الله عليه وسلم قوموا لسيديكم فجاء فجلس إلى النبي فقال له ان هؤلاء نزلوا على حكمك . قال فاني أحكم أن تقتل مقاتلة وان تسبي الذرية . قال لقد حكمت فيهم بحكم الله ( ١١ ) .

والحديث يفسر كلمة تأسرون في الآية بمعنى ( تسترقون ) كما هو واضح وهذا التفسير متسق مع ما ذكرناه في الذيل التاسع من أن الأسير كان يعنى الرقيق والعبد قبل الإسلام )

{ — وليس هناك ما يساعد على القول أى من آيات الأحزاب ومحمد نزلت قبل الأخرى . ولكن الروايات المتواترة تذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم مارس بعد آية محمد استرقاق السبى مع ممارسة المن والفداء بحيث يمكن القول أن أيا من الآيات لم تنسخ الأخرى . وان القواعد الأربع التي انطوت بالنسبة لأسرى الحرب وسباياها أى المن والفداء والقتل والاسترقاق ظلت ممارسة إلى آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم . والروايات متواترة على أنها كانت ممارسة في عهد الخلفاء الراشدين وبعدهم .

٥ — والمتعمن في آيات محمد والأحزاب لا بد من أن يلمح فرقا هاما في الأسلوب والمدى . ففي آية الأحزاب حكاية لممارسة المسلمين لقاعدتي القتل والاسترقاق بدون تثريب مما ينطوي فيه إجازة ربانية لذلك . في حين أن أسلوب آية محمد تشريعى إيجابى بالتخيير بين المن والفداء .

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قتل من أسرى بدر عقبة بن معيط والنضر بن الحارث لشدة أذيتهما للنبي والمسلمين وكان ذلك قبل نزول آيات الأحزاب ومحمد . ولم نطلع على خبر أو حديث يفيد أنه مارس قاعدة القتل بعد قتل بنى قريظة . وكل ما اطلعنا عليه هو ممارسة للمن والفداء واسترقاق السبى النساء والأطفال وقد استرق سبى هوازن وبنى المصطلق ويهود خيبر . ثم أطلق سبى هوازن بمشاورة وموافقة المسلمين حينما أسلم رجالهم والتبسوا من النبسى أطلق سبيهم . وأطلق بعض سبى بنى

(١١) — انظر التاج ج ع ص ٣٧٧ وهناك حديث رواه الشيخان عن عائشة فيه هذا الخبر مع شيء من الزيادة فيها ذكر سبى النساء مع الذرية انظر ص ٣٧٦ .

الله عليه وسلم (١٤) بحيث يمكن القول أن من حق ولى أمر المؤمنين أن يمن على السبى من نساء واطفال أو أن يطلقهم بفداء وأن استرقاق النساء والاطفال ليس هو القاعدة الوحيدة فيهم .

وإذا جاز المن والفداء بالنسبة للرجال ودون أن يسلموا على ما شرحناه سابقا واحتمال عودتهم الى العداء والحرب والخيانة وارد فإن المن والفداء بالنسبة للنساء والاطفال يكون جائزا من باب أولى وهذا فضلا عن أن الاسترقاق الذى مورس فى حق النساء والاطفال والذى عبرت عنه كلمة تأسرون فى آيات الاحزاب ليس ايجابيا وانما هو مجاز اجازة وليس من شأن هذا أن يمنع ولى أمر المؤمنين من اطلاق سراحهم بالمن والفداء .

٨ - ولقد كان المصدر الاكبر للرق هو أسرى الحرب كما قلنا قبل . ومهما يكن من حق ولى أمر المؤمنين بالاسترقاق بالاضافة الى المن والفداء فإن هاتين القاعدتين اللتين جاءتا بأسلوب تشريعى فى القرآن دون الاسترقاق الذى أجاز اجازة واللذين يستطيع ولى أمر المؤمنين أن يكتفى بهما تنطويان على ضربة قاضية أو شبه قاضية الى ذلك المصدر كما هو المتبادر حيث يصح للدولة الاسلامية أن تكتفى بالمن والفداء والمبادلة بدون حرج فتسد بذلك باب استرقاق الأسرى .

— ٩ —

وحينئذ يبقى الارقاء الموجودون .

المصطلق منا وبعضه بفداء (١٢) . بل ولم نطلع على خبر وثيق يفيد أنه مارس الاسترقاق غير ما تقدم . وكل ما اطلعنا عليه من ممارساته هو المن والفداء ومبادلة أسرى مشركين بأسرى فى يد الكفار (١٣) .

٦ - ومهما يكن من أمر فالمتبادر من أسلوب آيات محمد والاحزاب هو أن آى المن أو الفداء هما القاعدتان القرآنيتان التشريعتان الموجبتان وأن القتل والاسترقاق مجازان إجازة وأن ولى أمر المؤمنين يستطيع أن يكتفى بتطبيق قاعدتى المن والفداء وأن لا يطبق قاعدتى القتل والاسترقاق إذا رأى ذلك من مصلحة المسلمين .

٧ - ولقد ذكر الدكتور الحجى أقوال بعض الفقهاء بكون النساء والاطفال يسترقون تلقائيا . وقد يفيد هذا عدم جواز اطلاق سراحهم بالمن والفداء والنص القرآنى مطلق . وليس هناك أحاديث نبوية موجبة فيما اطلعنا عليه وأن كان من المحتمل أن تكون تلك الاقوال من وحى ممارسات النبى صلى الله عليه وسلم . ولكن ممارسات النبى تنوعت نتائجها فالسبى الذى استرقه من بنى قريظة باعه واشترى به سلاحا على ما روته الروايات أو قسمه على المسلمين كما جاء فى رواية أخرى . وسبى هوازن أطلقه منا بدون فداء . وسبى المصطلق أطلقه بالفداء كما ذكرنا قبل وهناك حديث يرويه رواية الحديث من طرق عديدة . يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم قد من على أخت عدى ابن حاتم التى كانت من جملة سبى سباه بعض سرايا الرسول صلى

(١٢) انظر طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٠٦ و ١٦١ و ٢٠٦ .

(١٣) خذ اثنى فدية من أسرى بدر وهذا ينص القرآن . ومن على ثمانية بن أنال سيد الجان كما جاء فى حديث رواه الثلاثة ( انظر التاج ج ٤ ص ٣٥٣ و ٣٥٤ وفدى رجلين من المشركين برجل من المسلمين كما جاء فى حديث رواه الترمذى ( التاج ع ص ٣٥٤ ) .

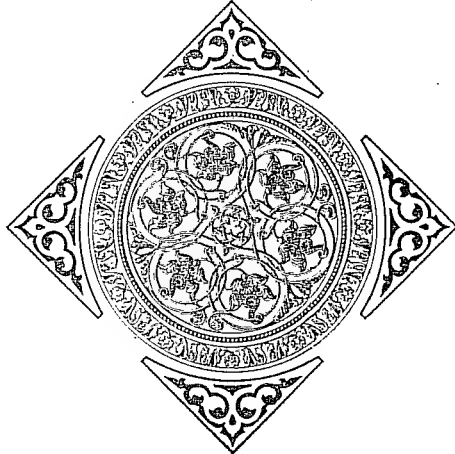
(١٤) انظر مجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٣٤ و ٣٣٥ .

فما كان منهم شرعى الرق — أى من نسل رقيق قبل الاسلام أو استرق فى حرب شرعية أو نسل مسترق — فالطرق القرآنية والنبوية كفيلة بتحريرهم . وعلى الدولة أن تلح على مالكيهم بالتقرب الى الله بعقبتهم فاذا لم يفعلوا فعليها أن تشتريهم من مالكيهم من مالها وهو من واجباتها بل وهذا هو الاولى بها وعليها . وما كان غير شرعى الرق وهؤلاء على ما نرجح هم أكثر ما يعاملون فى البلاد العربية معاملة الرق فعلى الدولة أن تحررهم أى ان تعلن أنهم أحرار رفعا للظلم والتسلط وهذا من واجبها .

#### — ١٠ —

والمندبر فى احوال البلاد العربية والاسلامية يرى أن باب استرقاق أسرى الحرب مغلق منذ قرون عديدة فلا يتجدد أرقاء من هذا الباب . ويرى أن الأرقاء القدماء من أسرى الحروب الاسلامية الاولى الذين صار يعرف أكثرهم بالمماليك أيضا هم فى طريق التصفية . وان ما يجرى من تعامل بيع وشراء لنساء وأولاد ورجال سود أو بيض هو استرقاق قسرى وتهريب وخطف على الاعم الاغلب ولا يستند الى أصل شرعى ولا يعد رقيقا ملك يمين من الوجهة الشرعية الاسلامية . وعلى هذا فلسنا نرى باسا وحرجا

شرعيا فى موافقة الدول الاسلامية على الميثاق الدولى بالغاء الرق الذى هو مما هدف اليه الاسلام على ما شرحناه بل وان لها والمسلمين عامة ان يعتزوا بدينهم العظيم من أجل هذا الهدف الذى هدف اليه قبل أربعة عشر قرنا ولم تستطع الانسانية أن تجمع على هديه الا فى القرن السابق ولسنا نرى محلا للتثريب على الدولة الاسلامية من جراء اهمالها لادخال أحكام الرق فى قوانينها الحديثة لان ذلك كاد أن يصبح غير ذى موضوع عمليا ونظريا بعد أن تحقق هدف الغاء الرق دوليا ومورس قانونيا . ومن الوجهة الشرعية الاسلامية يمكن أن يبقى باب استرقاق أسرى الحرب مغلوقا وهو فى أصله مجاز اجازة وليس واجبا شرعيا . والارقاء الشرعيون يمكن أن يصفوا بالتحرير ، بل نكاد نقول إنهم صفوا أو فى طريق التصفية فعلا والدول الاسلامية قادرة ومن واجبها إنهاء ذلك ، وغير الشرعيون يمكن أن يصفوا بالتحرير وبل نكاد نقول إنهم صفوا أو فى طريق التصفية فعلا والدول الاسلامية قادرة ومن واجبها إنهاء ذلك ، وغير الشرعيين تحررهم الدولة بالقانون لأن استبعادهم ظلم فى أصله وليس له أصل من شرع والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين .



# مائة الفارج

« ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا » . ( ٨٢ سورة الاسراء )

## معلم الصبيان

قال الجاحظ : مررت بمعلم صبيان وعنده عصا قصيرة ، وعصا طويلة وصولجان ، وكرة ، وطبل وبوق . فقلت له : ما هذا ؟

فقال : عندى صفار اوباش . اقول لاحدهم : اقرا لوحك ، فيصفر لى فأضربه بالعصا القصيرة ، فيتأخر فأضربه بالعصا الطويلة ، فيفر من بين يدى فأضع الكرة فى الصولجان وأضربه فأشجبه ، فيقوم الى الصغار كلهم بالالواح فأجعل الطبل فى عنقى والبوق فى فمى وأضرب الطبل وأنفخ فى البوق ، فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون الى ويخلصوننى منهم .

## طب الإيمان

عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما ، فقرأ فيهما : قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده . يفعل ذلك ثلاث مرات .

وتقول عائشة فى رواية أخرى ، ولما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها .

( البخارى )



### تحديد النسل

يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زمان يتنافس فيه الناس في تحديد النسل فيقول : ليأتين على الناس زمان يغبط فيه الرجل لخفة الحاذ كما يغبط اليوم أبو العشرة» (والحاذ شجر قليل الورق) . قال في لسان العرب : ضربه الرسول صلى الله عليه وسلم مثلاً لقلّة العيال .

### سبحانك

سبحانك . متى غبت حتى نحتاج الى دليل يدل عليك . ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك ؟ أياكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ؟ عميت عين لا تراك رقيباً عليها وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً .

### الإمام الحسين

### وحدة الأمة الإسلامية

ممالك ضمها الاسلام في رحم  
وشيجة وحواها الشرق في نسب

ولا ازيدك بالاسلام معرفة  
كل المروءة في الاسلام والحسب

### أهل الحديث

أهل الحديث هم أهل النبي وان  
لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

### الى المتقاعدين

لما كبر أبو الأسود الدؤلي وأسن كان يركب الى المسجد والسوق ،  
ويزور أصدقاءه فقال له رجل : يا أبا الأسود أراك تكثر الركوب وقد  
ضعفت عن الحركة وكبرت فلو لزمتمنزلك كان أودع لك .

فقال أبو الأسود : صدقت ، ولكن الركوب يشد أعضائي ، وأسمع من  
أخبار الناس ما لم أسمع في بيتي ، وأستنشق الريح وألقى إخواني ، ولو  
جلست في بيتي لأغتم أهلي وأنس بى الصبي وأجترأ على الخادم ، وكلمنى  
من لا يهاب كلامي لأفهم أياى وجلوسهم عندى حتى لعل العنزات  
تبول على فلا يقول لها أحد هشى .

# دور المؤسسات تعاظم المخدرات

١

الدكتور احمد على الجدوب

فهل ترى أن للدين رأيا فيها وموقفا منها ؟ والاجابة على هذا السؤال هي في الواقع التي ستحدد دور هذه المؤسسات في الوقاية من ظاهرة تعاطي المخدرات والادمان عليها .

والمؤسسات الدينية في الدول العربية لا تختلف من حيث طبيعتها عن مثيلاتها في الدول الأخرى وان اختلفت في الدور الذي تقوم به وهو اختلاف يرجع الى الدين الاسلامي ، وذلك بالنسبة للمؤسسات الدينية الاسلامية ، الذي يختلف عن الديانات الأخرى من حيث كونه شريعة متكاملة تتناول كافة نشاطات الانسان سواء ما كان منها خاصا بعلاقته بالله سبحانه وتعالى ! وما كان خاصا بعلاقته بالناس وهو ما يجعل لموقف هذه المؤسسات من ظاهرة تعاطي المخدرات أهمية خاصة ويمنح لموقفها السلبى مبررا ، وان بدا للوهلة الأولى مقبولا ، الا أنه في الحقيقة ليس كذلك مما سنوضحه في سياق هذا التقرير .

لا شك في أهمية الدين كعامل من العوامل التي يمكن الاستعانة بها لمواجهة المظاهر المختلفة للسلوك غير السوى ، وخاصة في مجتمع يتمسك بعقيدته ويحرص على اتباع تعاليمها فيعمل بما أمرت به وينتهي عما نهت عنه كالمجتمع الاسلامي . وبالنسبة للدور الذي يمكن ، أو بالأحرى يجب أن تلعبه المؤسسات الدينية للوقاية من ظاهرة تعاطي المخدرات والادمان عليها ، فان هذا الدور تتدخل في تحديده عوامل كثيرة واعتبارات متعددة من بينها نوع هذه المؤسسات والمجال الذي تزاوّل فيه نشاطها ، والامكانيات المتاحة لها لمزاولة هذا النشاط في المستوى الذي يحقق فعالية معينة ثم ، وهذا هو الأهم ، مدى قدرتها على مواجهة مشكلة تعاطي المخدرات في حدود ادراكها للمشكلة ونظرتها اليها في ظل الظروف السائدة . والمقصود بهذا هو ، هل تعتبر هذه المؤسسات تعاطي المخدرات والادمان عليها مشكلة ؟! واذا كانت تعتبرها كذلك ،

# الدينية في الوقاية من ظاهرة والإرسان عليمًا

## مفهوم المؤسسة الدينية :

لم يعد مفهوم المؤسسة الدينية بالاتساع الذي كان عليه في السابق حيث كانت المؤسسة الدينية وبصفة خاصة المسجد ، تقوم بدور كبير وشامل في حياة المجتمع الاسلامي ، وهو دور يستمد من الشريعة الاسلامية ذاتها التي أسلفنا أنها لا تقتصر على العبادات فقط بل تشمل المعاملات أيضا . فكان المسجد وهو المؤسسة الدينية الاولى يقوم في الاقاليم الاسلامية كالحجاز والعراق والشام ومصر والاندلس بوظائف سياسية واجتماعية واقتصادية وعسكرية وثقافية وتعليمية فهو مكان للعبادة وللتشاور في مختلف الأمور التي تعرض للمسلمين وهو مدرسة وجامعة ومنتدى ثقافي واجتماعي ومحكمة ففي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان المسجد النبوي في المدينة هو المركز السياسي والإداري للمسلمين وكذلك في عهد الخلفاء الراشدين الذين كانوا يديرون شؤون الدولة الاسلامية كلها من هذا المسجد وفيه يلتقون بالولاة وسائر المسلمين

ويتخذون فيه القرارات السياسية والإدارية والعسكرية كما كان هذا المسجد هو المجلس النيابي الاسلامي حيث يلتقى الخلفاء الراشدون بالصحابه رضوان الله عليهم ، وبالشخصيات الاسلامية الكبيرة فيتداولون في شؤون الدولة الاسلامية .

وبعد اتساع الدولة الاسلامية أصبح المسجد الجامع ، وهو المسجد المكون من أربعة أيوانات مسقوفة ومحولة عقودها على عمد رخامية أكبرها أيوان المحراب في الأقطار المفتوحة هو مركز السياسة والإدارة ، كذلك كان للمسجد دور في الحياة الاجتماعية للمسلمين فقد كان بمثابة النادي الاسلامي الذي يلتقون فيه بعد صلاة العشاء فيتحدثون ويتداولون في شؤونهم العامة كما كان يعقد فيه قران المسلمين . وبالإضافة الى هذا وذلك فقد كان له دور كبير في الحياة الاقتصادية حيث اعتاد معظم الولاة في صدر الاسلام حفظ الخزانة العامة في المسجد . كما كانت تعقد به الصفقات التجارية على مشهد وسماع من المسلمين وفضلا عن ذلك فقد كانت الجيوش الاسلامية في كثير من

المدن الإسلامية تبدأ مسيرتها وزحفها من الفناء الواسع أمام المسجد . كما كان المسجد يقوم بدور الجامعة والمعهد والمدرسة ، وأدى المسجد فى صدر الإسلام وظيفة قضائية فقد اعتاد القضاة الجلوس فى الجامع الرئيسى فى كل مدينة إسلامية . وقد استمر المسجد يقوم بهذه الأدوار أو بأغلبها حتى القرن السادس عشر عندما فقد مركزه فى الحياة العامة (١) .

وأخذت وظائفه تنقلص حتى اقتصرت على العبادة فقط فلم يعد الجامع يختلف عن المسجد أو الزاوية فكلها تخصص لأداء شعائر الدين فقط ، أما الوظيفة الاجتماعية والثقافية للجامع فقد انتقلت الى الجمعيات التى أنشئت لهذا الغرض وهو رعاية الناس اجتماعيا بالإضافة الى العناية بهم من الناحية الدينية فى إطار فكرة أو مذهب أو طريقة معينة . كذلك انتقلت الوظيفة التعليمية للجامع الى الجامعات والمعاهد والمدارس وتم الفصل بين العلوم الدينية وغيرها فتخصصت فى الأولى كليات ومعاهد ومدارس تقصر نشاطها على هذا النوع من العلوم . وهكذا يمكننا أن نحدد مفهوم المؤسسة الدينية فى العصر الحديث بأنها التنظيم الذى يقدم خدمة دينية للناس سواء كانت هذه الخدمة متعلقة بأداء الشعائر أو الرعاية الدينية والاجتماعية معا لأنصار فكرة ومذهب أو طريقة دينية معينة أم كانت الخدمة الدينية تتعلق بتعليم علوم الدين المختلفة .

### أنواع المؤسسات الدينية :

يأتى فى مقدمة المؤسسات الدينية

المسجد . وإذا كانت وظائفه قد تقلصت حتى اقتصرت على أداء الشعائر فقط إلا أنه يمكن القول أن الدور الذى يلعبه فى حياة المسلمين لم يفقد كل أهميته وهى الأهمية المستمدة من الطبيعة الجماعية للشعائر الدينية فى الإسلام حيث يتيح التجمع فى المسجد أو الزاوية للناس فرصة التشاور والحديث والنقاش فى مختلف الأمور سواء فيما بينهم أو فيما بينهم وبين أمام المسجد ورجال الدين بصفة عامة الذين يلتقون بهم أثناء الصلاة . فيستفتونهم فى أمور دينهم ودنياهم ، كذلك هناك صلاة الجمعة التى تلقى فيها خطبة الجمعة ويتناول فيها الخطيب المشكلات التى تواجه المسلمين ، وعن هذا الطريق يمكن للمسجد أن يتصل بظاهرة التعاظم ويبدى رأيه فيها وهو بلا شك رأى له قيمته وأهميته وخطورته باعتباره معبرا عن وجهة نظر الدين الإسلامى .

أما النوع الثانى من المؤسسات الدينية فهو الجمعيات والروابط الدينية التى تشمل برعايتها الروحية فئات من الناس سواء بحسب السن كجمعية الشبان المسلمين أو بحسب المذهب كجمعية أنصار السنة الحمدية والجماعات الصوفية وغيرها من الجمعيات الخاصة بالطرق المختلفة ويبلغ عدد الجمعيات ذات الغرض الدينى فى جمهورية مصر العربية ١٥٧٣ جمعية موزعة على جميع أنحاء الجمهورية من اجمالى الجمعيات المشهرة والقائمة سنة ١٩٧٠ والبالغ ٥٥٣٢ جمعية أى بنسبة ٢٨ر٤٪ بالإضافة الى الجمعيات الخيرية التى تؤدي خدمات دينية ويبلغ عددها ٢١٤٠ جمعية أى بنسبة ٣٨٪ وهذه الجمعيات وتلك تضم

(١) الدكتور على حسنى الخربوطلى - الجامع والحياة العامة - منبر الإسلام - عدد

## السبب الأول : —

وفيما يتعلق بالسبب الأول وهو الذى يرجع الى الشريعة الاسلامية فان هذه الشريعة كما أسلفنا وكما هو معلوم للجميع ليست شعائر وطقوس دينية فحسب وليست دعوة الى الاخاء والمحبة والتسامح فقط وبوضوح اكثر فهى ليست نصائح تزجى أو ارشادات وتعليمات خلقية تساق وإنما هى دين ودنيا معا تنظم كافة جوانب الحياة الانسانية وتحدد المباح وغير المباح والمأمور به والمنهى عنه وتفرض عقوبات لمن يخرج عن هذا التحديد بعضها دنيوى وبعضها أخروى . وإذا جاز للمؤسسات الدينية أو بالأحرى للمشرفين عليها أن يوجهوا النصح بشأن بعض الاوضاع أو المواقف إعمالاً لمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كأن ينصحوا بعدم المبالغة فى التزين أو ارتداء الثياب البالغة القصر أو ترديد الأغاني الهابطة أو عرض الأفلام الجنسية الفاضحة فان ذلك لا يجوز بالنسبة لتعاطى المخدرات والادمان عليها حيث لا يجدى النصح ولا يفيد التوجيه وهو ما سنوضحه فيما يلى .

## اما السبب الثانى : —

فى عدم قيام المؤسسات الدينية بدورها فيرجع الى الاوضاع القانونية القائمة . فالقانون الوضعى لا يعاقب على شرب الخمر بالرغم من أمرين ، الأول أن ضررها لا يقل بل ربما يزيد عن ضرر المخدرات والثانى أن الشريعة الاسلامية قد نهت عنها نهياً صريحاً ، وعاقبت شاربيها عقاباً صارماً ولكن القانون الوضعى لم يتبع الشريعة فى ذلك وترك شرب الخمر بلا عقاب بالمرّة فكيف نريد من امام المسجد أن يطالب الناس بعدم

منات من الالوف من الأعضاء . بل ان الطرق الصوفية وحدها يتجاوز عدد أعضائها المليون وربما أضعاف ذلك وهو أمر لا يمكن تحديده نظراً لعدم وجود احصاءات فى هذا الموضوع .

والنوع الثالث من المؤسسات الدينية هو نظام التعليم الدينى الذى يهيمن عليه الأزهر بجامعته وكتباته ومعاهده ومدارسه المنتشرة فى جميع انحاء البلاد . التى تقدم تعليماً دينياً الى مئات الالوف من المواطنين من الجنسين فى مختلف فئات العمر موزعين على مراحل التعليم المختلفة . والملاحظ أن التعليم الدينى فى المراحل العليا قد تطور تطوراً هاماً وملحوظاً أدى الى الجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا والفصل السابق لم يكن قائماً فى العصور الأولى للإسلام وإنما حدث فى عصور الظلام نتيجة التخلف العلمى والحضارى للمسلمين الذى فرضته عليهم الهجمات البربرية والحروب الصليبية التى لا تزال مستمرة حتى اليوم .

## دور المؤسسات الدينية فى الوقاية من الظاهرة :

هذه هى المؤسسات الدينية القائمة اليوم ، فما هو الدور الذى يمكن أن تقوم به للوقاية من ظاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها ؟ الواقع أن المؤسسات الدينية الاسلامية لم تقم حتى الآن بأى دور فى الوقاية من ظاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها وربما سيظل هذا هو موقفها الى وقت طويل قادم . وذلك يرجع الى سببين هامين أولهما الشريعة الاسلامية ذاتها وثانيهما الاوضاع القانونية القائمة فى مجتمعنا .

تعاطى المخدرات ويسكت عن المطالبة بتحريم الخمر ومعاقبة شاربيها وهو الذى يقرأ عليهم قول الله سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » ( المائدة ٩٠ و ٩١ ) وبالرغم مما أسفرت عنه كافة البحوث التى أجريت بقصد التعرف على عوامل الانحراف بصفة عامة وجناح الأحداث بصفة خاصة من أن الخمر قد لعبت دورا خطيرا فى عمليتى الانحراف والجناح على السواء .

كذلك ترتب على تفشى عادة شرب الخمر والادمان عليها ارتشاع هائل فى نسبة الجرائم غير العمدية وخاصة الجرائم الناشئة عن قيادة السيارات واصابات العمل وغيرها مما دفع بدولة كالاتحاد السوفيتى الى اصدار قانون يحرم بيع وتعاطى خمر تزيد نسبة الكحول فيها على ٣٠٪ ، بل وصل الامر الى معاقبة من يحرص الشباب دون السابعة عشرة على تعاطى الخمر باعتباره مرتكبا لجريمة عقوبتها الاشغال الشاقة . كذلك لجأت السلطات السوفيتية الى معاقبة السائقين الذين ثبت انهم من مدمنى الخمر بسحب رخص القيادة منهم وبلغ عددهم خلال مدة وجيزة لا تزيد عن بضعة أسابيع ١٩١٠ سائق .

ولا زالت المجتمعات الاخرى تكتشف - يوما بعد يوم - مضار الخمر وتتخذ الاجراءات الكفيلة بالحد من انتشارها والتخفيف من مضارها . إن ذلك اذا حدث فلن يؤدى الى امتناع الناس عن تعاطى المخدرات وإنما سيؤدى الى فقدهم الثقة فى

المتحدث اليهم وعدم تصديقهم له لأن ما يقوله لا يتفق مع المنطق فضلا عن تعارضه أو تجاهله للدين وما قضى به . والملاحظ انه بالرغم من أن الكثير من احكام الشريعة الاسلامية لم تستوح عند سن القوانين الوضعية وبخاصة قانون العقوبات الا أن الناس لا تزال تراعى تلك الاحكام فى الكثير من تصرفاتها وتحرص بقدر الامكان على أن يكون سلوكها متلائما معها حتى ولو كان ذلك يتعارض مع القانون الوضعى ، من ذلك اصرارهم على الثأر من القاتل باعتبار ذلك هو القصاص الذى أمر الله به ولعلمهم أن اعدام القاتل لن يتحقق عن طريق المحاكمة القانونية وهو ما يروونه متعارضا مع احكام الشرع . هذا فى مجال التحريم والعقاب على إثيان المحرم وهو القتل أما فى مجال الإباحة فالمثال هو تعاطى المخدرات فرغم تحريم القانون الوضعى له وتوقيعه اقصى العقوبات على من يتجر فيها أو يتعاطاها ، إلا أنهم يفهمون خطأ أن الشريعة الاسلامية لم تحرم المخدرات وإنما حرمت الخمر فقط ولذلك لا يأبهون كثيرا بتحريم الشارع للمخدرات ويتجرون فيها ويتعاطونها وهم مطمئنون الى أن ما يفعلونه ليس محرما .

وبغض النظر عن صحة هذا الاعتقاد أو عدم صحته فإن الناس بصفة عامة ليسوا على دراية كافية وأحيانا ليسوا على دراية بالمرّة بأمور دينهم وخاصة ما يتعلق منها بالمعاملات والأجزية وما هو محرم وما هو مباح وإنما يستقون هذه المعلومات من المؤسسات الدينية التى يتعاملون معها سواء أكانت مسجدا أم جمعية دينية أم معهدا دينيا وهى المؤسسات التى تتكلم باسم الدين وتتعامل مع الناس بشأنه . وعن طريق

المؤسسات يعرف الناس أن الأصل فى الأشياء والأفعال الإباحة ولما كانت المخدرات لم يرد بتحريم تعاطيها والاتجار فيها نص صريح أو ضمنى فإن هذا الفعل أو ذاك يعتبر مباحا .

ويوجد عدد كبير ممن يشرفون على الجمعيات الدينية لا يؤمنون إلا بالتحريمات التى وردت بالقرآن أو بالسنة بنص صريح وقاطع كتحريم الخمر والزنا والسرقة والكذب والقتل وعموما الحدود والقصاص ولما كانت المخدرات ليست مما ورد بشأنه نص لا فى القرآن ولا فى السنة فإنهم لا يقولون بتحريمها ، وهم معذورون فى ذلك لأنهم - فى الغالب لم يدرسوا الفقه الإسلامى دراسة شاملة ومتعمقة لكى يعرفوا أن هناك بالاضافة الى القرآن الكريم والسنة النبوية مصادر أخرى للتشريع كالاجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع وغيرها استقر الراى بشأنها وأصبحت مصادر ثابتة للأحكام ثبتت أصالتها بالكتاب والسنة ، فيجب أن يعرف هؤلاء المشرفون على المؤسسات الدينية بصفة عامة أنه كما توجد فى الشريعة جرائم الحدود وجرائم القصاص توجد كذلك جرائم التعزير وهى بطبيعتها غير محدودة ، فقد نصت الشريعة على بعضها ، وتركت لأولى الأمر النص على البعض الآخر وهو القسم الأكبر من جرائم التعازير .

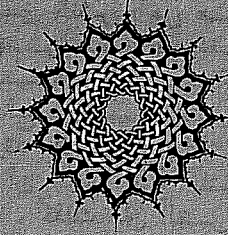
إلا أن الشريعة لم تترك لأولى الأمر الحرية فى النص على هذه الجرائم ، بل أوجبت أن يكون التحريم بحسب ما تقتضيه حال الجماعة وتنظيمها وللدفع عن صوالحها ونظامها العام ، وأن لا يكون مخالفا لنصوص الشريعة ومبادئها العامة .

وقد قصدت الشريعة من اعطاء أولى الأمر حق التشريع فى هذه الحدود تمكينهم من تنظيم الجماعة وتوجيهها الوجهات الصحيحة ، فمراعاة المصالح من عمد التشريع الإسلامى . وقد علل الشارع الأحكام ليرشدنا الى أن الحكم يتبع علته وجودا وعدما . كذلك فإن القرآن الكريم لم يلجأ الى تفصيل أحكام المعاملات المالية والجنائية والمدنية والدولية والدستورية وغيرها مما يختلف فى بيئة عنه فى الأخرى ، ويتغير بتغير الأزمنة ، ويتأثر بمختلف المؤثرات ، لاتاحة الفرصة أمام ولاية الأمر والعلماء والمجتهدين فى أى عصر من العصور ليضعوا قوانينهم بما يحقق مصالح الناس مع التزام الأسس العامة للشريعة الإسلامية وعدم الخروج على نص من نصوصها القطعية .

وهكذا تبين لنا أن قيام المؤسسات الدينية بدور فى الوقاية من ظاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها يتوقف على أمرين : أولهما ، تهديد الطريق أمام الشريعة الإسلامية حتى تقوم بدورها الهام والخطير فى حياة الناس باعتبارها تشريعا فضلا عن كونها دينيا وثانيهما ، القضاء على التناقض بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعى بحيث لا تحرم الشريعة عملا يبيحه القانون الوضعى كتحريمها شرب الخمر وإباحة القانون الوضعى له وهو ما يحول دون قيام المؤسسات الدينية بدور فى الوقاية من ظاهرة تعاطى المخدرات لان الأجدر بها أن تقوم بدور الوقاية من ظاهرة شرب الخمر والادمان عليها استجابة لأمر الله أولا ثم بعد ذلك تقوم بدورها فى الوقاية من ظاهرة تعاطى المخدرات والادمان عليها وهو ما يقضى به المنطق ويفرضه العقل .

( البحث بقية )

# العناية



فجندت الادارة اخصائيين فى فن النقش على الخشب وفى ميدان الآثار ووضعت تحت تصرفهم وسائل علمية عصرية لمقاومة تداعى خشب الأبواب والسقوف .

ومن أهم الجوامع التى نالت الحظ الأوفر من العناية ترميمها واحياء جامع « عقبة بن نافع » بالقيروان ، وجامع « الزيتونة » وجامع « سيدى محرز » وجامع « صاحب الطابع » بالعاصمة وجامع « المهديّة الفاطمي » .

ولّا شك أن لكل جامع من هذه الجوامع طابعه الخاص الذى يجسم مظاهر الفن المعماريّ الذى أّسم به العصر الذى شيد فيه .

فالفاحص للجوامع والمساجد بتونس يلاحظ مثلاً أن الجوامع الحنفية تتميز بشكل مآذنها المستديرة أو المثمنة بينما المساجد والجوامع المالكية تتميز بشكل مآذنها المربعة مثل ما نجده بجامع الزيتونة وجامع عقبة .

فيعتبر جامع عقبة بن نافع أول مسجد بافريقيا ، وقد شيد سنة ٥٧ هجرية من طرف الفاتح الكبير عقبة ابن نافع ثم أعيد بناؤه من قبل ابراهيم ابن الأغلب أمير افريقية فى عهد العباسيين فى بداية القرن الثالث للهجرة ، وهو يحتوى على زخارف فنية غاية فى الجودة .

وجامع القيروان مثال وقع حذوه لبناء جامع القرويين بفاس ( المغرب )

تمثل بيوت الله صفحة خالدة من حضارة تونس الاسلامية المجيدة وقد اقبلت الحكومة منذ الاستقلال على اقامة المساجد الجديدة وترميم المساجد القديمة والاعتناء بها ، وقد اغدقت الأموال الطائلة فى العناية والاهتمام بالجوامع والمساجد مثابرة على تركيز الدين الاسلامى الحنيف ومحافظة على التراث الحضارى الاسلامى العريق وتقديرا لأهميّة الجانب الروحى للانسان التونسى ورغبة فى أن تكون بيوت الله فى مظهر يليق بالاسلام والمسلمين .

وأنفقت ادارة الشعائر الدينية خلال السنوات الثلاث الاخيرة ما لا يقل عن ٦٠٠ ألفدينار فى سبيل ترميم عدة جوامع بتونس ، ولعل ارتفاع النفقات بهذه الصورة يقيم الدليل على مدى ما لقيته بيوت الله من اعتناء من طرف الحكومة التونسية ، تلك البيوت التى تخلد التراث الحضارى الاسلامى وهو تراث مجيد أصيل يشهد على نبوغ أجدادنا فى ميدان الفن المعماريّ .

وانطلاقاً من مبدأ احياء التراث جندت ادارة المعالم الأثرية كل الطاقات الأدبية والمالية لبعث الروح من جديد فى هذا القسم من تاريخ تونس ، وذلك بوازع المحافظة على التسلسل الزمنى والربط بين الماضى والحاضر والعمل على إبراز الشخصية العربية الاسلامية الصميّة



# بيوت الله بتونس

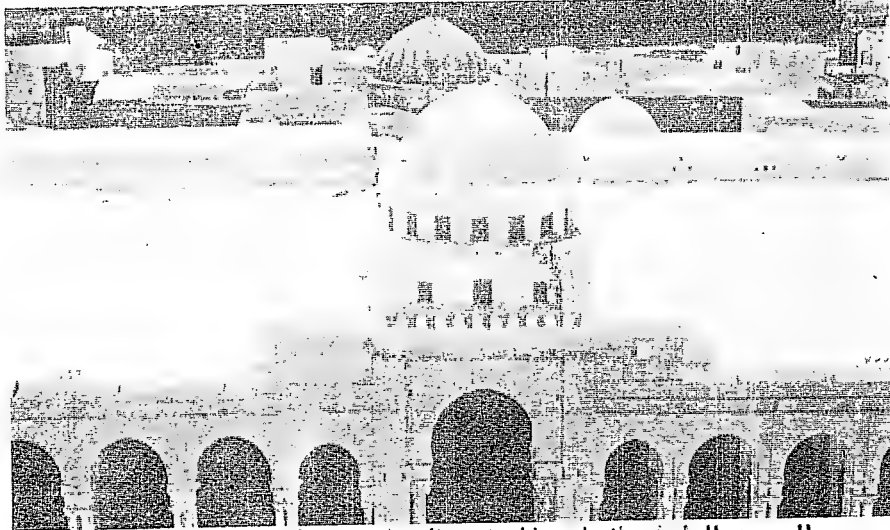
أخرى من ذلك أن فريقا من الفنيين الاختصاصيين تحول سنة ١٩٦٥م الى المملكة العربية السعودية حيث ساهم في اشغال ترميم مسجد « قبا » وهو أول مسجد اسلامي شيده الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قـرب المدينة .

كما ساهم رئيس الدولة التونسية بمقدار خمسة آلاف دينار لتزويق جامع دكاك بالسينغال ، وكذلك بنفس المقدار في سبيل تشييد محراب جامع « ياموسوغرو » في ساحل العاج بأفريقيا وقد صنع منبر هذا الجامع في مركز الصناعات التقليدية بتونس .

التي يركز عليها بناء قرية جديدة بجانب المدرسة والسوق والمستوصف وقد جهزت كلها بالنور الكهربى وبمضخات الصوت ولعل أروع تحفة من هذه المساجد الحديثة مسجد الرئيس الحبيب بورقيبة بمدينة المتستير .

وقد ساهم المواطنون التونسيون بقسط كبير في بناء هذه المساجد ، كما ساهمت المؤسسات المشرفة على النواحي الدينية في هذا المجهود بالإضافة الى ما يبذله الخواص من وضع امكانياتهم الخاصة في سبيل بناء المساجد .

وتجاوزت عناية تونس ببيوت الله حدود البلاد لتعم بلدانا اسلامية



الصحن الداخلى للجامع المسطى بالرحام وبجواره عدة قباب ..



المحارب الذي بناه أبو العباس محمد بن الأغلب أمام محراب عقبة بن نافع .

والجوامع العديدة سواء كانت بمساعدة الدولة أم بالجهودات والتبويلات الخاصة من أبناء البلد . ومن أهم جوامعهم جامع صاحب الطابع - أي وزير العدل - وجامع حمودة باشا المرادى . والملاحظ أن تسعين بالمائة من عقود الزواج بالعاصمة التونسية تعقد بجامع حمودة باشا تيمنا وتبركا . ولم تقتصر مجهودات الحكومة التونسية على احياء التراث الاسلامي العتيق بل ساهمت بقبسط وامر في تشييد مساجد جديدة فبنيت المساجد في كل مدينة وفي كل قرية وفي الريف وكان المسجد من العناصر الاساسية

حكما تونس قد زار تونس مرارا في السنوات الاخيرة مبديا اشد العناية بالآثار الفاطمية وعزم على اقامة مكتبة بجامع المهدي المذكور يجمع فيه كل تراث الفاطميين .

واذا انتقلنا الى جامع « سيدى البشير » بالعاصمة نجده حفصى العهد انشئ في النصف الثاني من القرن السابع الهجري وتم اصلاحه في عهد الاستقلال .

وان اهتم العثمانيون الذين خلصوا تونس من ايدي الاسبان ببناء التحصينات حتى يتم لهم الدفاع عن أمن البلاد فهم لم يهملوا قط الركن الديني اذ شيدت في عهدهم المساجد

الذى بناه جماعة جاءوا من مدينة القبروان .  
 أما جامع الزيتونة بالعاصمة فقد شيد على يد حبان بن النعمان فى أواخر القرن الاول للهجرة ثم أعيد بناؤه من جديد سنة ٢٥٠ هجرية ، ولعل أروع ما يمتاز به هذا المسجد قبة المحراب ، والمنبر ، وقبة اليهود وقد تم ترميمه تبعا لمراحل عديدة فأبرزت معالنه الأثرية والفنية . . ويعتبر جامع الزيتونة أول جامعة اسلامية فى العالم الاسلامى سبق

جامع الأزهر فى هذا الميدان .  
 أما جامع المهدية وهى بلدة فى الساحل التونسى والتي كانت عاصمة الفاطميين فقد بنى فى أوائل القرن الرابع ، وعلى غرار بنى جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى جامع الأزهر عندما فتح مصر سنة ٣٥٨ هـ وبنى فيها القاهرة التى انتقل اليها المعز لدين الله سنة ٣٦١ هـ .  
 ومما يذكر أن سلطان طائفة البهرة الذين ينتمون الى المذهب الشيعى وهو نفس مذهب الفاطميين الذين

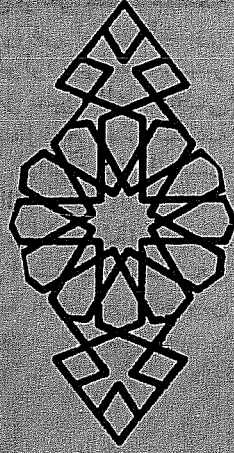


جانب خارجى من جامع الزيتونة

# الترکستان

بَين  
الظُّلم  
والنَّسِيان

للأستاذ عبد القادر طائش التركستاني



أصيب العالم الإسلامى فى الفترة الاخيرة من تاريخه بجراح كثيرة عميقة الغور بالغة التأثير ، ففى الأندلس كان جرح وفى زنجبار كان جرح وفى أرتيريا كان جرح وفى فلسطين كان جرح وهناك فى قلب آسيا فى تركستان الشهيرة كان جرح ، ولا زالت الدماء تنزف من تلك الجراح بفزارة وكلما نزلت قطرة منها تلفتت من حولها مستغيثة مستنجدة عسى أن يتألم لآلها المسلمون ولكن القوم فى شغل عنها قد رضوا بالحياة الدنيا وزخرفها ولم يعد يسرى فى أرواحهم ما كان يسرى فى أرواح المؤمنين الصادقين الذين وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : مثل المؤمنين فى توادهم وتراحهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر . وقد أدى هذا التبلد العاطفى فى المسلمين الى أن تتكالب عليهم الأمم ويكيد لعقيدتهم الكائدون ويطمع فى خيراتهم الطامعون . ولكن نفحة من أمل مشرق أصابت قلوبنا — فى الآونة الاخيرة —

عندما انطلقت دعوات مخلصات تدعو الى أن يتحرك المسلمون لتحقيق التضامن والتآزر والتلاحم فيما بينهم . وفى الحق أن هذا التضامن الإسلامى هو بداية الطريق للوصول الى الصورة الفذة الرائعة التى رسمها الرسول صلى الله عليه وسلم للمؤمنين فى حديثه المتقدم .

ولا يخامرنى شك فى أنه يجب علينا — معشر المسلمين — ونحن فى مرحلة الصحوة الإسلامية أن نتلمس جراحنا ونتعرف على أحوال اخواننا الذين يعيشون فى المناطق الجريحة من وطننا الإسلامى الكبير حتى نستطيع مساعدتهم ومد يد النصرة لهم .. وهذا حديث عن تركستان المسلمة الشهيرة وعن أحوال المسلمين فيها وما يلاقونه من ارباب .

### تركستان الكبرى :

تركستان : كلمة فارسية مؤلفة من ترك : وهو شعب آسيوى قديم نشأ فى سهول سيبيريا وجبال آلتاي . وستان : معناها محل أو أرض أو بلاد . فتركستان معناها : بلاد الترك وبذلك يمكن أن تطلق هذه التسمية على كل قطر يسكنه الشعب التركى ولكنها فى اصطلاح جغرافى تاريخى أصبحت علما على المناطق التى تحدها سيبيريا شمالا وايدىل أورال وبحر الخزر — قزوین حاليا — غربا ومنغوليا والصين شرقا وإيران وأفغانستان وكشمير والتبت جنوبا .

وكلمة تركستان استعملت اول مرة — كما يقول زكى وليدى — من طرف الإيرانيين الساسانيين للبلاد التابعة لدولة ( كوك تورك لر ) . ويقول ياقوت الحموى فى معجم البلدان : تركستان اسم جامع لجميع بلاد الترك وحدهم الصين والتبت والخزج والكيماك ، ولقد أطلق المؤرخون والجغرافيون — بعد الاسلام — على تركستان اسم بلاد ما وراء النهر . ذكر ابن الأثير فى الكامل أن بلاد التركستان وهى كاشغر وبلاساغون — آتا حاليا — وختن وطراز وغيرها مما يجاورها : من بلاد ما وراء النهر .

ومساحة التركستان تبلغ ٤١٨.٠٨٥ كم<sup>٢</sup> ويبلغ عدد سكانها حوالى أربعين مليون نسمة أكثرهم من المسلمين (١) . وتركستان بلاد عريقة فى الحضارة . ويمتاز أهلها بالكثير من الصفات الحميدة كالشجاعة والفروسية والأنفة وثبده تمسكهم بعقيدتهم وتفانيهم فى الذود عن حريتهم وكرامتهم . يقول ياقوت فى معجم البلدان « وأهلها — يقصد بلاد ما وراء النهر — يرجعون الى رغبة فى الخير والسخاء وسماحة بها ملكت أيديهم مع شدة وشوكة ومنعة وبأس وعدة وآلة وسلاح » . ولقد ابتداء نور الاسلام يشع فى التركستان بعد أن فتح القائد المسلم قتيبة بن مسلم سمرقند سنة ٨٦ هـ فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٢) وفتح كاشغر بالتركستان الشرقية سنة ٩٦ هـ . ولقد كان ابتهاج التركستانيين بالاسلام عظيما وكان اخلاصهم له كبيرا ولذلك فقد اتخذوا الحروف العربية حروفا رسمية فى لغتهم — ولا تزال هذه الحروف فى اللغة التركستانية حتى اليوم — ولم يقف الامر عند هذا الحد بل كانت المحاكم والدوائر الحكومية تعطى الاولوية للوثائق المكتوبة بالعربية وكانت النقود تكتب عليها « ضرب فى سمرقند أو كاشغر ونحو ذلك » (٣) . ونبغ من أبناء التركستان علماء افاض « كالبخارى ومسلم والطبرى وابن سينا والغزالي والزمخشري وغيرهم » (٤) . والتركستان مقسمة الى قسمين : شرقية وغربية . وسأتحدث فى هذه السطور عن التركستان الشرقية فقط حتى يتسرع بنا الحديث ثم لأن القسم الشرقى لم يعط العناية اللائقة بخلاف القسم الغربى منها .

### التركستان الشرقية :

● **نظرة عامة :** تبلغ مساحة القسم الشرقى من تركستان ٧٤٥.١٧١ كم<sup>٢</sup> ويبلغ عدد السكان ثمانية ملايين نسمة (٥) وقيل : أربعة ملايين وقيل : ستة الى غير ذلك (٦) . وتحتل التركستان الشرقية موقعا استراتيجيا بين سيبيريا ومنغوليا والصين والتبت والهند وكشمير . وقد كانت منذ القديم صلة الوصل بين الشرق والغرب (٧) . ويزرع فيها القمح والقطن والحبوب والخضروات والفاكهة ، ومن الثروات المعدنية التى تحتضنها أرضها البكر : الفحم الحجري والبتروول والتنفستن والرصاص واليورانيوم والزئبق . ولا يزال الجانب الاكبر من هذه الثروات مخبوءا لم يكتشف بعد (٨) .

● **الاحتلال الشيوعى :** عاشت التركستان الشرقية فى صراع مرير ودائم مع الاستعمار الروسى والصينى منذ أقدم العصور وكافح التركستانيون فى سبيل حريتهم وكرامتهم كفاحا كبيرا « حتى بلغ عدد قتلاهم فى فترة من الفترات المليون قتيل كما هو مسجل فى بعض الاوراق الرسمية التى عثر عليها فى بكين عاصمة الصين » (٩) . وحتى لا يطول بنا المقام نقفز تفاصيل ذلك الصراع ونصل الى عام ١٩٤٩ م عندما سقطت التركستان الشرقية فى أيدي الشيوعيين الصينيين .

ولقد قام التركستانيون بمعارضة الاحتلال الصيني الغاشم معارضة شديدة وقاموا بحركات مضادة مما أدى الى أن يشدد الشيوعيون من قبضتهم الارهابية على تركستان وأن يفصلوها عن العالم الخارجى بسياج حديدى رهيب . ولكن لماذا حرص الشيوعيون على احتلال التركستان الشرقية وتشديد القبضة الارهابية على شعبها المسلم . . ؟ لعلنا نستطيع تلخيص الاسباب التى دفعت الشيوعيين الى احتلال التركستان الشرقية فيما يلى :

- ١ - ان سكان التركستان الشرقية مسلمون . والاسلام بمبادئه وأهدافه يتعارض مع النظام الشيوعى تعارضا كليا ولذلك فلا بد من القضاء عليه وعلى معتنقيه حتى لا يشكلوا خطرا على نظامهم .
- ٢ - الطمع فى استغلال وامتصاص خيرات التركستان وخصوصا الثروات المعدنية التى ذكرنا بعضا منها فيما سبق .
- ٣ - متاخمة التركستان الشرقية للحدود الروسية مما يجعلها ذات موقع استراتيجى فى خارطة الصراع بين الصين والاتحاد السوفيتى .
- ٤ - يدعى الشيوعيون أن التركستان جزء من الارض الصينية وأنها كانت تدعى فى تاريخ الصين والعالم ( شيبو ) والواقع يكذب ذلك الادعاء فان التركستانيين وجدوا فى الارض التركستانية منذ أقدم العصور وهم اقوام لا يمتون الى العنصر الصينى بأية صلة اطلاقا . وقد اعترف بذلك كثير من القادة الصينيين ووردت التركستان فى كثير من المؤلفات التاريخية الرسمية للصين على أنها بلد أجنبى وليست من الصين (١٦) .
- ٥ - الانتقام من الشعب التركستانى الثائر الذى كلف الصينيين خسائر فادحة وسبب لهم كثيرا من المتاعب والمشاق خلال صراعهم الطويل معهم حتى قيل : « ان ثوراتهم جاوزت الخمسين ثورة » (١١) .

### مسح التركستان الشرقية لتحويلها الى مقاطعة صينية :

عمل الشيوعيون على مسح تاريخ تركستان وتغيير أسماء المدن فيها لتحويلها الى مقاطعة صينية وقد اتخذوا للوصول الى هدفهم الخطوات التالية :

- ١ - تغيير اسم التركستان الشرقية الى ( سنكيانج ) وهو اسم صينى معناه المستملكة الجديدة (١٢) وأطلقوا على التركستانيين لقب ( تشانتو ) ومعناه الرجل المعصب رأسه لأنهم كانوا يلبسون العمام (١٣) .
- ٢ - تغيير أسماء المدن فى تركستان واستبدالها بأسماء صينية فقد استبدلوا كاشغر بشولى وياركند بسوتش وأورمچى بيهوا وختن بهوتى اين وطورفان بطولوفان وغير ذلك (١٤) .
- ٣ - جلب الصينيين الى تركستان واسكانهم بها وقد بلغ عدد الصينيين الجدد فى خلال سبع سنوات مليونى نسمة (١٥) وقد أجبر التركستانيون على مصاهرة الصينيين وتزويجهم بناتهم حتى يصل الصينيون الى هدفهم من مسح تركستان وطمس قوميتها

## مظاهر القضاء على الدين الاسلامى :

الاسلام هو العدو الأول والأعظم للشيوعية ولذلك فقد جهد الشيوعيون للقضاء على هذا الدين وطمس معالمه ومحو آثاره من قلوب المسلمين فى التركستان الشرقية وتجلت مظاهر القضاء على الاسلام فيما يلى :

- ١ — احراق نسخ القرآن الكريم والكتب الدينية الاخرى التى عثروا عليها وحظر اقتنائها .
- ٢ — اصدار نسخة محرفة من القرآن فى محاولة لايجاد أوجه شبه بين الاسلام والشيوعية وتوزيعها على الطلاب المسلمين .
- ٣ — اغلاق المساجد والمدارس الدينية ويقدر عدد المساجد التى اغلقوها أو حولوها الى ملاه واسطبلات .. !! بـ ٢٢ ألف مسجد وعدد المدارس بـ ٢٦ ألف مدرسة .
- ٤ — منع التكلم باللغة العربية أو تدريسها .
- ٥ — القضاء على الشعائر الدينية الاسلامية كالصلاة والزكاة والحج والختان . والغاء الاعياد الاسلامية .
- ٦ — اجبار المسلمين على الزواج المختلط ( اى من غير المسلمين ) ، وعلى تربية الخنازير واكل لحومها وارغامهم على الانضمام الى التعاونيات الشيوعية .
- ٧ — انشاء معاهد خاصة لنشر تعاليم ( ماو ) ومبادئ الشيوعية والتاريخ الصيئى وزرع الاحاد فى قلوب الطلبة المسلمين .
- ٨ — قتل العلماء وتعذيبهم والقتل الجماعى للمخالفين للانظمة الشيوعية أو نفيهم الى مجاهل سيبيريا أو سجنهم فى سجونهم الرهيبة .

## أساليب الشيوعيين فى تعذيب المسلمين :

ذكرت فيما سبق بعض مظاهر القضاء على الدين الاسلامى واجتثاث الروح الاسلامية من الشعب التركستانى ولكن تلك الاعمال الاجرامية لم ترو ظمأ الشيوعيين ولم ترض شهوة العداوة والحقد والانتقام التى استولت على قلوبهم المتحجرة فراحوا يتفننون فى أساليب تعذيب المسلمين فمن ذلك :

- ١ — دق مسامير طويلة فى الرأس حتى تصل المخ .
- ٢ — جعل السجين هدفا لرمصاص الجنود الذين يترنون على اطلاق النار .
- ٣ — وضع خوذات معدنية على الرأس وتسليط التيار الكهربائى عليها وذلك لاقتلاع عيون السجناء .
- ٤ — صب الزيت المغلى على جسم المعذب .
- ٥ — اجلاس المعذب بصورة تسهل الضرب على اعضائه التناسلية وتسبب له ألما مبرحة .



٦ — دق مسامير حديدية فى الأظافر حتى تنفذ من الجانب الآخر .

٧ — تمشيط الجسم بأمشاط حديدية .

ولكن مع كل هذا الارهاب والتعذيب الوحشى الذى تندى له جبين الانسانية فان المسلمين فى التركستان وقفوا صامدين ولم تنتج هذه الاساليب الشيوعية فى التعذيب الا مزيدا من التصميم والثبات و ارادة الثورة . ولقد نشرت جريدة ( البلاد ) السعودية فى عدد يوم ١٧/٨/١٣٨٢ هـ ان الانباء الصحفية التى تسربت من التبت ذكرت بأن الثورة ضد النظام الشيوعى قد نشبت فى سنكيانج ( التركستان الشرقية ) وأن اصابات كثيرة لحقت بالقوات الصينية الشيوعية . وذكرت جريدة الندوة السعودية فى عدد يوم ٢٢/٨/١٣٨٣ هـ ان الصين سحبت عددا كبيرا من الفرق العسكرية الى مقاطعة سنكيانج عبر الحدود الروسية مما يدل على أن هناك متاعب ومصاعب يسببها التركستانيون للثورة الشيوعية ولولا الستار الحديدى الشيوعى المفروض على تركستان الشرقية لتسربت اليها اخبار الثورات والحركات القتالية التى يقوم بها التركستانيون للتعبير عن الاستياء الشديد من الاحتلال الشيوعى والارهاب الاحمر لبلادهم .

#### مقترحات :

تلك هى الخطوط العريضة ( المختصرة ) للمشكلة التركستانية ولكن الشئ المؤلم حقا ان قضية التركستان قضية منسية مهمة حتى أن كثيرا من المسلمين — بله المثقفين لا يعرف عن هذه القضية شيئا أبدا . وهذه بعض المقترحات — المتواضعة — التى أراها فى سبيل « بعث هذه القضية المنسية وتوعية المسلمين بملابساتها وظروفها واطلاع العالم عليها » .

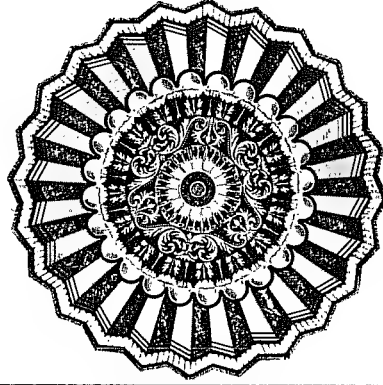
١ — أن تقوم وزارات المعارف والتربية والتعليم فى البلاد الاسلامية بوضع مادة تدرس فيها مشاكل المسلمين فى البلدان المضطهدة فى المدارس الرسمية .

٢ — أن تقوم ( رابطة العالم الاسلامى ) بايفاد لجنة من المسؤولين المسلمين الى البلاد الاسلامية الواقعة تحت السيطرة الروسية والصينية لتقصى الحقائق ومن ثم عمل الدراسات اللازمة والبحوث الدقيقة لمعرفة أفضل السبل لمساعدة المسلمين فى تلك البلاد . وعلى الرابطة أيضا أن تناقش هذه القضية فى دوراتها التى تعقدها فى مكة واطلاع المسلمين على حقائقها وما وصلت اليه من أبعاد .

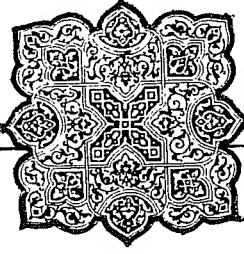
٣ — أن تقوم الهيئات والمراكز الاسلامية فى البلدان الاسلامية وفى غيرها كالمراكز الاسلامية فى أوروبا وأمريكا وآسيا بطبع النشرات والكتب التى تشرح للعالم أحوال المسلمين فى تلك المناطق .

٤ — أن تشجب المؤتمرات الاسلامية التى تعقد بين حين وآخر الاضطهاد الشيوعى والارهاب الاحمر اللذين تمارسهما الصين الشيوعية والاتحاد السوفيتى فى التركستان وأن تطالب باستقلال تركستان .

- ٥ - اشارة القضية التركستانية فى المحافل الدولية والمؤتمرات العالمية بقصد تعريف العالم عليها وكسب مؤيدين لها .
- ٦ - مناشدة الدول المحبة للسلام للوقوف الى جانب الشعب التركستانى الذى يتعرض للافناء الشيوعى .
- واننى لا أنسى فى هذا المجال دور الاعلام ووسائل النشر والصحافة - وخاصة الصحافة الاسلامية - فانه يجب على المجلات والمنشورات الاسلامية أن تقوم بتوعية القارئ المسلم بهذه المشكلة وأن تعمل على تقصى الاخبار المتعلقة بها والاهتمام بنشرها .
- حقق الله الآمال . والله يتولى الصابرين .



- (١) أنظر « حقائق عن التركستان المسلمة » لمحمد أمين اسلامى ٤ - ٧ .
- (٢) أنظر « تاريخ الاسلام السياسى » د. حسن ابراهيم حسن ج ٢٤/١ والدعوة الى الاسلام الآرنولد و « الكابل فى التاريخ » لابن الاثير ج ١٧٩/٩ .
- (٣) « حقائق عن التركستان المسلحة » ١٠ .
- (٤) « تركستان : « سلسلة مواطن الشعوب الاسلامية » لمحمود شاكر ٩ .
- (٥) « تركستان الشرقية » ( من نفس السلسلة ) لمحمود شاكر ٣٢ .
- (٦) أنظر حقائق عن التركستان المسلحة ٣ - ٣٤ .
- (٧) تركستان الشرقية لمحمود شاكر ٣١ .
- (٨) أنظر تركستان الشرقية لشاكر ٣١ وأنظر « مجلة البلاغ الكويتية » العدد ١٥٩ .
- (٩) مجلة البلاغ الكويتية عدد ١٥٩ .
- (١٠) حقائق عن التركستان المسلمة ٢٣ - ٢٥ .
- (١١) حقائق عن التركستان المسلمة ١٦ .
- (١٢) هذه التسمية تدل على تناقض الصينيين فى ادعائهم أن التركستان جزء من الصين اذ لو كانت كذلك فلماذا أسهوها بالمستملكة الجديدة . . ؟!
- (١٣) حقائق عن التركستان المسلمة ٢٣ .
- (١٤) حقائق عن التركستان المسلمة ١٦ - ١٧ .
- (١٥) حقائق عن التركستان المسلمة ١٩ .
- (١٦) أنظر « الاسلام والمسلمون فى الصين » لفؤاد كرم ٤ - ٤٩ وأنظر أيضا « نداء الى المسلمين » لعيسى يوسف البتكين ٨ - ١١ .



# الوحدة الإسلامية

أَصُولُهَا وَمَنْهَجُهَا  
وَعَوَامِلُ اسْتِمْرَارِهَا

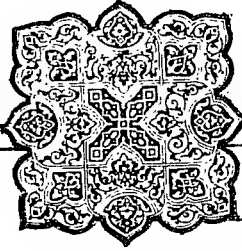
للأستاذ يحيى هاشم حسن فرغل

يدعو الإسلام الى وحدة الأمة الإسلامية على أساس من وحدة الجنس البشرى التى يقررها الإسلام فى صورة قاطعة لا تحتل تحريفا أو تأويلا .  
« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .. »  
« وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون » .

ولما كان الإسلام هدى الله للإنسانية جمعاء ، وهو الدين الذى جاءت به الرسل جميعا من عند الله : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ..

فان دعوة الإسلام الى وحدة الأمة الإسلامية لا تعنى دعوة الى عصبية حمقاء ، ولا تعنى دعوة الى تمزيق الروابط الإنسانية ، وإنما هى — فى نفس الوقت — دعوة الى الوحدة الإنسانية يصنع الإسلام نموذجها الأصيل ، وركيزتها الفذة فى وحدة الأمة الإسلامية : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من



رسله ... » . « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ... » .

والوحدة التي يدعو إليها الإسلام ليست — فحسب — زينة لحياة المسلمين ، أو حاجة يميلون إليها حين يدعوهم حافظ من حوافز المصلحة الدنيوية ...

ولكنها — قبل ذلك — ضرورة من ضرورات إيمانهم ، يندعون إليها حين يدعون إلى عبادة الله الواحد ، وتقواه :

« إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »

« وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون »

وهي ضرورة من ضرورات فطرتهم التي جمعتهم على الإسلام .. :

« فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وهي ضرورة من ضرورات نعمة التاليف التي منّ الله بها على عباده المؤمنين ، أخبر عنها ، ووعد بها : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ... »

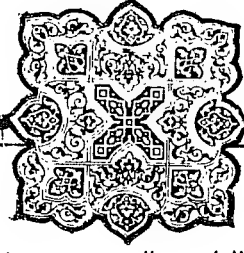
وهي ضرورة من ضرورات واقع الإيمان المائل في قلوبهم « إنما المؤمنون إخوة » ، ويقول صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته » ، ويقول : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، ويقول : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم . »

والإسلام إذ يقرر الوحدة الإسلامية كضرورة من ضرورات الإيمان يربطها بجذوره الأساسية ، ويوثقها بأصوله : في العقيدة ، والشريعة والأخلاق .

ففي مجال العقيدة ترتبط هذه الوحدة بعقيدة المسلمين الأساسية وهي عقيدة « التوحيد » . وفي رحاب هذه العقيدة التي تنفي عنها أية صورة من صور الشرك : الخفى أو الظاهر ، يتربى المسلمون على « الوحدة » تربية تتغلغل في نظرتهم إلى وجودهم في هذه الحياة ، كما تمد بفيئها على نظرتهم إلى مستقبلهم في الآخرة ..

وفي مجال الشريعة ترتبط هذه الوحدة بخضوع المسلمين — نظرا وعملا — لنظام تشريعي واحد ، واحد في كيانه ، واحد في مصدره ، واحد في أهدافه ... « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .

وفي مجال الأخلاق تتوثق هذه الوحدة بقيام المجتمع الإسلامي — والفرد المسلم — على أساس من القيم الإسلامية التي وضحتها الكتاب وبينتها السنة ، وصارت أصلا لأخلاق المسلم ، يستعصى على التزييف ، ويتأبى على التهجين . وإذ يقرر الإسلام الوحدة : أصلا إنسانيا ، وضرورة من ضرورات الإيمان ، وعنصرا متغلغلا في أصول الدين :



يبين فى نفس الوقت الطريق الى تحقيق هذه الوحدة ، والمنهج العملى المؤدى اليها .

ذلك المنهج هو « حبل الله » .

وحبل الله هو القرآن كما ورد فى الحديث الصحيح .

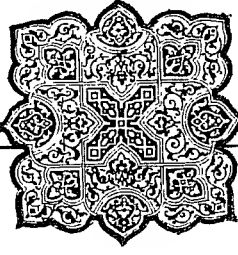
يقول صاحب المنار فى تفسير قوله تعالى : **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** : « إن المختار هو ما ورد فى الحديث المرفوع من تفسير حبل الله بكتابه ، ومن اعتصم به كان آخذا بالاسلام — ولا يظهر تفسيره بالجماعة والاجتماع — وإنما الاجتماع هو نفس الاعتصام ، فهو يوجب علينا أن نجعل اجتماعنا ووحيدتنا بكتابه ، عليه نجتمع وبه نتحد ، لا بجنسيات نتبعها ، ولا بمذاهب نبتدعها ، ولا بمواضع نضعها ، ولا بسياسات نخترعها ... »  
وانى للسياسات المخترعة والمذاهب المبتدعة أن تحقق وحدة ، وهى موضع الخلاف ومصدر الفرقة ؟

أما حبل الله فهو خيط الضوء وسط المتاهة الظلماء يقصد اليه من يقصد النجاة ... ولا يضل عنه ذو بصر أو بصيرة .. يتحرك اليه الأفراد .. وتهاجر اليه الجماعات الممزقة .. فاذا هم هناك جميع ، يربطهم حبل متين .  
يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا القرآن هو حبل الله المتين . وهو النور المبين . وهو الشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن أتبعه » .

من هنا كان الاعتصام بحبل الله منهج وحدة ، فضلا عن كونه هدف حياة . وإذا كان الاعتصام بحبل الله — كما بينا — منهج الوحدة المطلوبة بين المسلمين فانه بعد ذلك — أو قبل ذلك — منهج الاتصال بالله سبحانه .

ثم إنه أخيرا منهج التوقى من الضياع ، والهلاك .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « ليس تشهدون إلا إله إلا الله وأنى رسول الله ؟ قالوا : بلى . قال : إن هذا القرآن طرفة بيد الله وطرفة بأيديكم ، فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا » . ويقول صلى الله عليه وسلم : « أتانى جبريل فقال : يا محمد ، ان الأمة مفتونة بعدك . قلت له : فما المخرج يا جبريل ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم . وهو حبل الله المتين وهو الصراط المستقيم ، وهو قول فصل ليس بالهزل ، ان هذا القرآن لا يليه من جبار فيعمل بغيره الا قصمه الله ، ولا يبتغى علما سواه الا اضله الله ولا يخلق عن رده ، هو الذى لا تغنى عجائبه ، من يقل به يصدق ومن يحكم به يعدل ، ومن يعمل به يؤجر ، ومن يقسم به يقسط » . رواه الامام أحمد فى مسنده عن سيدنا الامام على كرم الله وجهه .

وحبل الله يعنى سنة رسوله كما يعنى كتابه تعالى ، بل انه يعنى هذه السنة من حيث يعنى كتاب الله .



يقول تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » ، ويقول :  
« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم  
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .  
ويقول « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله  
إن الله شديد العقاب » .

ويقول : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى  
الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون  
بالله واليوم الآخر . ذلك خير وأحسن تأويلا » .  
ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أطاعنى فقد أطاع الله  
ومن عصانى فقد عصى الله » .

ويقول عليه الصلاة والسلام « يوشك أحدكم أن يكذبنى وهو متكئ على  
أريكته يحدث بحديثى فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال  
استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه إلا وإن ما حرم رسول الله صلى  
الله عليه وسلم مثل ما حرم الله » .  
فهذا إذن حبل الله : كتاب الله وسنة رسوله .

والاعتصام به ليس مقصدا في ذاته فحسب ، بل هو — فوق ذلك —  
المنهج الإسلامى للوحدة ، منهج بسيط بين المناهج المعقدة ، مضى بين المناهج  
المعتمدة ، ممكن بين المناهج المستحيلة ، ميسر بين المناهج المستعصية ، منتج  
بين المناهج العقيمة .

ولقد وهنت وحدة المسلمين — ثم انفطرت — يوم وهن استمساكهم  
بحبل الله ، ويوم انفضوا عنه . .

وهنت وحدة المسلمين — ثم انفطرت — يوم راحوا يهتجون عقائدهم  
بعقائد من هذا المذهب أو ذاك ، فسرت اليهم عدوى من الأديان المخالفة ،  
أو من الفلسفات الملحدة ، من يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو غيرها ، من  
رواقية ، أو أبيقورية ، أو مادية ، أو وجودية أو وضعية أو ما أشبه .  
وهنت وحدتهم — أو انفطرت — يوم راحوا يبتدعون في دينهم ،  
ويضيفون إلى عقائدهم اجتهدات بشرية ما أنزل الله بها من سلطان « وما  
أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة  
وذلك دين القيمة » .

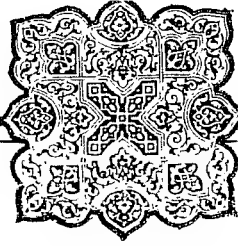
كذلك وهنت وحدتهم — أو انفطرت — يوم أخذوا بشرائع وقوانين  
يعارضون بها شريعة الله وقوانينه فانفطرت بهم السبيل مسالك شتى :

أهملوا تعاليم الله وشرائعه فى تحريم الربا .

أهملوا تعاليم الله وشرائعه فى القصاص والحدود .

أهملوا تعاليم الله وشرائعه فى الزكاة والمال . .

وصاروا بعد ذلك مزقا تنتهبهم مسالك الحياة ما بين يمين ويسار وتتداعى  
عليهم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . .



وان المنهج لواضح وسط هذه المتاهات .  
« وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

ذلكم هو المنهج : حبل الله .  
حبل الله وحده هو المنهج البسيط الميسر ، الممكن ، الذى ينتهى وحده — بالوحدة .

فاذا وجدنا أنفسنا — بهذا الاعتصام — على طريق الله ، وجدنا أنفسنا — ببساطة وتلقائية — على طريق واحد ، وعلى مسيرة واحدة ، وعلى مقصد واحد ، وفى « وحدة » متينة الرباط موثوقة بوثاق الله .  
ولا يبقى بعد إلا شكل يختار لهذه الوحدة ، وفقا لهذه التجربة من تجارب الأمم أو تلك ، شكل يدعو اليه الواقع أو يفرضه ، دون أن يطول بنا البحث عنه ، فهو سهل المنال عند ذاك سهل التنفيذ .

والاسلام لا يقيدنا بشكل معين من اشكال الوحدة .  
ولكنه يقيدنا بعناصر محددة للشكل الذى تهدينا اليه التجربة .  
فهو يحدد لنا موضوع الوحدة ، وهدفها ، وظروف قيامها ، وظروف صيانتها واستمرارها .

فموضوع الوحدة الذى يتم الالتفاف حوله والعمل من أجله ، يجب أن يكون طاعة الله ، وتنفيذ أوامره ..

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » .  
« وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم »  
طاعة الله ورسوله ، وتنفيذ أوامره هى موضوع التعاون أو الاتحاد أو الوحدة فى الأمة الاسلامية .

إن المنهج هنا يصبح هو الموضوع فى نفس الوقت .  
وإذا كان لا بد لكل وحدة من موضوع فانه لا بد من أن يكون هذا الموضوع منتسبا الى الحق ، نقيا من الباطل ، فقد خرج المشركون فى غزوة بدر تحت راية واحدة لكنها كانت راية الشيطان ، فماذا كان من أمرها ؟  
« وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ، فلما ترأعت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب » . فالباطل إذن لا يصد ، ولا يفوز فى النهاية ، ولا تقوم عليه وحدة طويلة المبر ثابتة القدم .

وهدف الوحدة الاسلامية هو النجاح « ... ولا تنازعوا فتفشلوا » وهو فى عبارة محددة تحقيق (الحياة) « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » ، ولذلك كانت الآخرة هى الهدف الرئيسى للاسلام وللوحدة الاسلامية ، « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » .

وظروف صنع الوحدة الاسلامية هى ظروف الكفاح والجهاد والمشقة والابتلاء ، كان الأمر على هذا النحو فى قيام الوحدة الاسلامية الأولى وما أظنه ( البقية ص ٩١ )

# الشعب المختار ومآضيه مع الاستعمار!

للأستاذ محمد عبد الحافظ

قبل البدء فى حديث كهذا فان هناك عددا من الاسئلة تطرحها امانة الكلمة ، وتثيرها موضوعية البحث ، وتستلزم أن نتلمس لها اجابات مقنعة منصفة .

وفى مقدمة هذه الاسئلة :

هل اليهود شعب .. ؟

وهل هم شعب الله المختار .. ؟

وهل اختار الله لهم فلسطين ( أرض الميعاد ) .. ؟

لقد جاء فى كتب اليهود انفسهم أن اسرائيل ( يعقوب ) عندما رحل الى مصر كان معه أكثر من أربعة آلاف .. وأن هؤلاء لم يكونوا جميعا من نسله .

ويروى التاريخ أن كثيرا من السكنعانيين ، والعمونيين ، والحيثيين وغيرهم قد اعتنقوا اليهودية .. وأصبحوا من أتباع ( سليمان ) .

فامتزاج اليهود — اذن — بغيرهم حقيقة ثابتة ..

يقول ( جوستاف لوبون ) فى كتابه « اليهود فى الحضارات الاولى »

( ان اليهود ابتعدوا عن عرقهم الاصيل لاتصالحهم الطويل بأمر أرقى منهم كثيرا ) .

ومعنى هذا كله أن اليهود لم يكونوا شعبا حتى فى أقدم عصورهم .. أضف الى ذلك أن صلة اليهود بفلسطين لم تتجاوز أربعة أو خمسة قرون قبل الميلاد .. ومن هنا فان ما ينبغى أن يطلق على اليهود أنهم ( طائفة



دينية ) مما يجعل المقارنة بينهم وبين الشعب الفلسطيني فيها كثير من الاعتساف ..

ولكن الخرافات اليهودية الذائعة .. والأباطيل الصهيونية الشائعة دفعت الكثير من المؤرخين الى عقد هذه المقارنة .. يقول ( دابوبور ) فى كتابه ( تاريخ فلسطين ) :

« يعود وجود السكان فى فلسطين الى عصر بالغ فى القدم ، نحو عشرة آلاف سنة قبل الميلاد ، وقبل أن يضع اليهود أول قدم لهم فى هذه البلاد .. فقد استوطن بها أقوام ذوو حضارة وتاريخ عريق مثل الكنعانيين .. والحيثيين .. والفينيقيين .. والفلسطينيين » .

وتقول الحقيقة التاريخية : أن المنطقة الممتدة ( من النيل الى الفرات ) كانت خاضعة للسيادة المصرية من سنة ٢٨٠ الى سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ما عدا فترات قصيرة ومحدودة قامت فيها دول أخرى بغزو هذه المنطقة ( التى كان يلقب فيها شيوخ العشائر ورؤساء المدن والقرى انفسهم بلقب ملك ) .

ولم يرد فى الآثار المصرية التى تم اكتشافها حتى اليوم ما يشير الى اسم ( بنى اسرائيل ) لا كشعب ولا كدولة . حقيقة أن ملوك هذه المنطقة ( شيوخ العشائر ) كانوا ينتهزون فرصة ضعف الدولة المصرية فيتهردون على سلطتها لفترات ضئيلة قبل أن يجبروا على العودة الى سلطانها .. وحقيقة أيضا أن بعض ملوك هذه المنطقة مثل ( سليمان بن داود ) الذى كان يلقب ( بملك اورشليم ) قد استطاع أن يبسط رقعة نفوذه ، ولكن الحقيقة التاريخية تؤكد كذلك أن ذلك التوسع لم يحدث الا على أساس أن سليمان كان زوجا لابنة فرعون مصر .

على أن مصر لم تكن تتوانى فى القضاء على تهرّد ملوك هذه المنطقة فور تجاوزها لاسباب فترات الضعف العابرة فى تاريخها كما حدث سنة ٩٠٧ قبل الميلاد فى عهد ( شيشنق ) ملك اليهود ، وكما استطاعت القوات المصرية فى عهد ( نخاو الثانى ) فرعون مصر أن تزحف الى الامبراطورية الآشورية وتستولى فى طريقها على فلسطين ، وتعيدها الى مصر مرة أخرى وتقضى على ملك يهوذا ( يوشع ) فى معركة مجدو الشهيرة سنة ٦٠٩ قبل الميلاد . على أن أول عهد العالم بكلمة ( اليهود ) و ( يهودى ) كان بعد ( سليمان بن داود بزمان طويل ، فبعد وفاته انشقت الاسباط — وهى ك القبائل عند العرب — فخرج عشرة أسباط ونصف على ( ابن سليمان ) ، وأقاموا بلدة سميت ( بالسامرة ) ونصبوا عليهم ملكا عرف باسم ( ملك اسرائيل ) وبقي ( ابن سليمان ) فى ( اورشليم ) ملكا على سبط ونصف ، وعرف باسم ( ملك يهوذا ) .. ويهوذا أحد أبناء يعقوب .. ولما شرعت آشور فى حرب مصر هاجمت الاراضى الممتدة من الفرات الى النيل .. وهى ما تعرف ( بأرض كنعان ) وسقطت بلدة ( السامرة ) مقر ( ملك اسرائيل ) سنة ٧٢٢ قبل الميلاد وتم سبى الاسباط العشرة والنصف وذابوا فى المجتمعات الأخرى ، واختفى كل أثر لهم ..

ولولا وقوف مصر في وجه الغزو الآشوري وتصديها له ومنعه من الوصول الى ( اورشليم ) لكان قد تم القضاء النهائي على السبط والنصف الباقي من أحفاد ( يهوذا ) من عشرة آلاف عام .

وفي سنة ٥٨٦ قبل الميلاد استولى ( بختنصر ) البابلي على ( مملكة يهوذا ) ودمرها ، وحرق الهيكل ، وسبى أهلها جميعا ، وظلوا أسرى في ( بابل ) حتى سنة ٥٣٨ قبل الميلاد عندها تولى حكم الفرس الملك ( قورش ) ابن ( قمبيز ) ففك أسرهم وسمح لهم بالعودة الى مملكتهم ، بعد أن جثوا تحت قدميه واخترعوا له نصا في التوراة يزعم أن ( قورش هو المسيح المنتظر ) . وجاء ( الاسكندر ) سنة ٣٢٢ قبل الميلاد واحتل فلسطين ، وتبعه بطليموس الأول ، ثم ( انطيوخوس ) اللوقي اليوناني ملك سوريا سنة ٢٠٣ قبل الميلاد .

واستولى الرومان على مملكتهم في عهد القيصر ( بومبي ) ، ولما قام اليهود بالثورة على الحكم الروماني ، دمر الرومان القدس من جديد ، ومحو الهيكل وبنوا فوقه معبدا لكبير آلهتهم ( الجوبيتر ) . . وكان ذلك في عهد الامبراطور ( تيطس ) سنة ٧٠ قبل الميلاد الذي اباد منهم ما وصلت اليه يده الطويلة العنيفة ، ولم ينج من عقابه الصارم الا من لاذ منهم بالفرار في آفاق الارض البعيدة . ثم جاء الفتح الاسلامي لفلسطين سنة ٦٣٦ ميلادية ولم يكن بفلسطين آنذاك الا اقلية ضئيلة يهودية . . ومن ذلك التاريخ وفلسطين عربية مسلمة اللهم الا ردحا من الزمن ايام الحروب الصليبية ، ولكنها سرعان ما عادت الى العرب على يد البطل العربي ( صلاح الدين الايوبي ) .

ومما يؤكد أن اليهود كانوا اقلية ضئيلة ، ليس لها أي وزن سياسي أو اجتماعي في الفترة السابقة للفتح الاسلامي لفلسطين — ما جاء في وثيقة استلام زمام الامور فيها ، والتي حضر لتوقيعها الخليفة ( عمر بن الخطاب ) بنفسه في فلسطين — لقد اشترط المسيحيون في شروطهم التسليم — « الا يسكن بايليا أحد من اليهود » وضمن لهم الخليفة هذا الشرط . . وما ذلك الا شعور منه بعدم أي وجود لليهود من شأنه أن يكون له احترامه أو مجرد ثقله . . على الرغم من مرور أكثر من أربعة قرون على ما أنزله بهم الرومان في قلعة ( الماسادا ) .

هذه هي جذور ما يسمى بـ ( الشعب اليهودي ) . . ولكنها جذور عفنة أبلت الاعاصير ساقها وقصفت الرياح فروعها ، وجفت من زمن بعيد أوراقها وصارت هشيما تذروه الرياح فأين أذن الشعب اليهودي . . ؟

هل هو أولئك الصهاينة المستعمرون الموجودون من ربيع قرن بفلسطين المحتلة . . ؟ ان الواقع يؤكد — كما ذكر آنفا — أنه لا وجود لما يمكن أن يطلق عليه اسم ( الشعب اليهودي ) . . وأن أولئك الصهاينة الموجودين بفلسطين المحتلة ليسوا شعبا تحت أي منظار ، وبأي مقياس . . لا بمقياس

التاريخ ، ولا بمقاييس الحضارة والاجتماع .. ولا بمقاييس الواقع .. انهم ليسوا سوى اقلية يهودية عربية ، واكثرية مجلوبة جلبا من ( شذاذ الاماقي ) من الشرق والغرب ، خليط متنافر متزاحم لا تجمعه وحدة العقيدة — كما يزعمون — وانما تجمعهم الاطماع والاحقاد .. فهل يمكن ان يسمى هذا شعبا .. ؟

وهؤلاء .. ليسوا شعب الله المختار .. ولا كذلك اجدادهم الاقربون ولم يخرهم الله .. ؟ السفكهم دماء عباده الأبرياء .. ؟ التكبر في الارض بغير الحق .. ؟ أم لسعيهم بالفساد بين الناس واكلهم الربا .. ؟ أم لاجترائهم على شرائع الله ومقدساته في الارض .. ؟

ولماذا اختار الله لهم فلسطين بالذات .. وهي مهد مقدساته .. ؟ لانهم عاشوا فيها زمنا .. ؟ أم لانهم خير خلق الله واجدرهم برعاية المقدسات .. ؟ ان التاريخ — كما سبق — يؤكد ان فترات تواجد اليهود على أرض فلسطين اقل بدرجة لا تقارن بالوجود المصري ولا بالوجود العربي عليها .. سواء بعد الفتح الاسلامي أو قبله ..

ولماذا يمنحهم ربهم أرضه المقدسة ( أرض الميعاد ) .. ؟ ان الكتب المقدسة والتاريخ يؤكدان ان اليهود — منذ كانوا — اكثر خلق الله عقوقا لربهم ، واجترأ وتطاولا عليه ، وقتلة الانبياء والمصلحين ومحرقي الكتب والشرائع المقدسة ، ولقد منحهم الله الفرصة تلو الفرصة للاستقامة ، وفضلهم على العالمين زمنا بما منحهم من انبياء ، وأنعم عليهم من نعم ولكنهم تطاولوا وتمادوا في طغيانهم فسلط الله عليهم — في كل جيل — رسل انتقلهم يمزقونهم كل ممزق ، ويشردونهم بددا حيناً بعد حين .

ان اناسا هذا ماضيهم — وهو حافل بالضياع والانتقام — لا يمكن ان يصدق عاقل انهم ( شعب الله المختار ) الا اذا اقتنعنا بأن الثواب يكون للعاصي وأن المكافأة يستحقها المسيء ..

ولكى يبقى سؤال : لماذا اخترع اليهود هذه الاسماء : ( شعب الله المختار ) ، ( أرض الميعاد ) ، ( الشعب اليهودي ) .. ؟

يجيبنا العالم الانجليزي المعاصر ( جون الجرو ) الاستاذ المتخصص في اللغات الشرقية فيقول :

« ان كل هذه ( الخرافات ) التي آمن بها اليهود قد ظهرت بين سنتين معروفتين في تاريخهم سنة ٥٨٦ قبل الميلاد .. عندما جاء الملك البابلي ( بختنصر ) وهدم اورشليم ( القدس ) وهدم معبد سليمان ، وأحرق أخشابه ، وأخذ كل ما فيه من ذهب ، وحطم قدس الاقدام حيث أودع اليهود ( وصايا موسى العشر ) .

والسنة الثانية عندما انهدم المعبد مرة ثانية سنة ٧٠ ميلادية عندما تقدم الرومان وهدموا هذا المعبد عليهم وأحرقوهم .. ثم حاول بعض

اليهود أن يقفوا فى وجه الرومان ، واعتصموا بقلعة ( ماسادا ) حتى هلكوا جميعا ..

بعد هاتين السنتين تفجرت عن اليهود هذه الافكار التى تقوم بتعويض ما فقدوه فهم أناس لا أرض لهم .. لأنهم مطرودون من كل أرض .. ولذلك اخترعوا لأنفسهم أنهم مشردون بلا أرض ، ولكن الله اختار لهم أرض فلسطين ، انها خرافات يهودية .. خرافات جياع مشردين ، منبوذين ، مكروهين لا جذور لهم .. بلا حوائط .. بلا أرض .. جلسوا فى مهب الريح الرملية فى الصحراء وامتدت أيديهم الى أعشاب مخدرة .. وراحوا يتخيلون ، ويصدقون أوهاهم .. ولكنهم حتى لو صدقوها وجنوا بها ، فهم أوهاهم لم تنزل من السماء ، وانما نبتت من الأرض ، التى ليست أرضهم ولن ينعم اليهود بالراحة فى أى عصر ما دام الدم والدمار ، والحقد أسلوبهم فى الحياة » .

ولا عجب أن يجيء فى ( تورااة اليهود ) نفسها ما يؤكد رأى هذا العالم — غير العربى — فى الإصحاح السادس والعشرين من ( سفر التثنية ) وصف للشعب اليهودى بأنه ( لقيط ) وفى الإصحاح السادس عشر جاء فى سفر ( حزقيال ) وصف للشعب اليهودى بأنه ( مثل الغانية الداعرة التى تدفع فلوسا لمن يزنى بها ) .

والدارس لتاريخ اليهود يلفت نظره بوضوح أنهم مفتنونون بالأرض ، حريصون على ( كيان مستقل ) لهم ، مغرمون بالتحكم والتملك ، ولما لم تسعفهم الأرض برغائبهم تجنوا وافتروا على السماء ، واختلقوا الوعود المقدسة وتفننوا فى اختراع القصص الغيبية لاكتساب شرعية ما ليس من حقهم ، وهم فى سبيل تحقيق أطماعهم الشخصية مستعدون للتعاون ولو مع الشيطان متكرين لكل مبدأ متعامين عن كل دين .

ولم يكن ( وعد بلفور ) بتمكين اليهود من وطن قومى لهم فى فلسطين هو أول وعد حصلوا عليه لاقامة هذا الوطن فى نفس المكان .. مكافأة لهم على عمالتهم .. وفى القرن الخامس قبل الميلاد حصلوا على نفس الوعد من الاستعمار الفارسى نظير قيامهم بدور تخريبى فى العراق من الداخل حتى يسهل احتلال الجيش الغازى له — على نحو ما سبقت الإشارة اليه — وبلغت المؤامرة مداها وانطلقت الجيوش الفارسية سنة ٥٣٦ قبل الميلاد فى أكبر حركة استعمارية عرفها الشرق فى العصور القديمة ، فاستولت على العراق وأجزاء من شبه جزيرة العرب ، وسوريا ، ولبنان وفلسطين . ولما دهم الفرس مصر بقيادة ( قمبيز ) استعانوا فى استعمارها أيضا باليهود ، أو بتعبير أدق وضع اليهود أنفسهم فى خدمتهم للتآمر على الشعب المصرى .

وقد تم العثور على وثائق باللغة ( الآرامية ) — اليهودية — فى جزيرة ( قيلة ) بأسوان تثبت هذا التآمر .

وعندما فزا الاسكندر الشرق ، وتمكن من رد الغزو الفارسي على أعقابيه مدحورا ، حاول اليهود احتواءه وبذلوا جهودا مكثفة ، استغلوا خلالها أسلحتهم التقليدية المعسرومة من حيلة وذكاء ، ومكر ودهاء ليسكنوا محل ثقته .. ولكنه عاملهم بمتبهي اليقظة والحذر .. ولئن كان اليهود قد استطاعوا ان يحصلوا منه على بعض المزايا ، كان جعل لهم شخصية قومية متميزة وأتاح لهم حكم أنفسهم بأنفسهم فى الشام - فى ظلال الحكم اليونانى - الا أنه حرم عليهم المناصب السياسية الخارجية ، ولم يمكنهم من التدخل فى الشؤون العسكرية ، ولم يسمح لهم بالتدخل فى الامور الاقتصادية .. وجعل ذلك مقصورا على اليونانيين وحدهم ..

وبعد اليونان جاء الرومان ، وحاول اليهود التعاون معهم فى سياستهم الاستعمارية ، ووصل بهم الامر - وهم أصحاب الكتاب السماوى - الى الوقوف بجوار وثنية الرومان ضد ( يوحنا المعمدان ) .. وليت تأمرهم انتهى بقتله فحسب ، بل تأمروا على السيد المسيح عليه السلام ، محاولين الفتك به والقضاء عليه ، كما تأمروا من بعده على المسيحيين فى ( نجران ) اذ دفعوا ( ذو نواس ) آخر ملوك حدير الى حرقهم . وعندما جاء الاسلام وبرغم وجود اتفاقيات صداقة وحسن جوار بينهم وبين المسلمين فى اول صدر الاسلام الا أن هذا لم يمنعهم من أن يتآمروا مع الوثنيين من قريش ضد الدعوة الاسلامية التى تقوم على التوحيد .

وقبيل غزوة الاحزاب ذهب جماعة منهم الى قريش بزعمارة ( حبى بن اخطب ) بهدف التعاون معه لتدمير الدعوة الاسلامية ، ولقد ترددت قريش فى اول الامر وقال قائلها للوفد اليهودى : يا معشر اليهود انكم اهل الكتاب الاول واهل العلم ، بما أصبحنا نختلف فيه مع محمد .. أفديننا خير أم دينه ؟ قال اليهود : بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه .

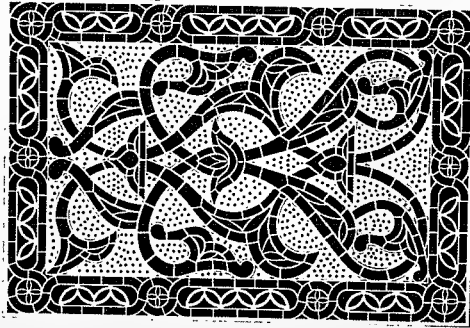
ويشير القرآن الكريم الى ذلك : « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا » .

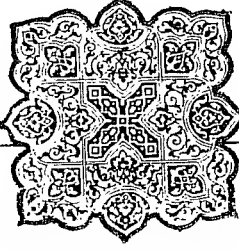
وحول تفضيل وثنية قريش على توحيد محمد عليه السلام يقول الدكتور ( اسرائيل ولفنسون ) فى كتابه « تاريخ اليهود فى بلاد العرب » كان من واجب هؤلاء اليهود الا يتورطوا فى هذا الخطأ الفاحش ، والا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الاصنام افضل من التوحيد الاسلامى ، ولو أدى بهم الامر الى عدم اجابة مطلبهم .. هذا فضلا عن أنهم بالتجائهم الى عبادة الاصنام انما كانوا يحاربون أنفسهم ويناقضون تعاليم التوراة التى توصيهم بالنفور من اصحاب الاصنام والوقوف معهم موقف الخصومة .

وإذا كان التآمر من سمات اليهود — كما يروى التاريخ — فإنه يروى أيضا أن الفدر واثارة الشغب ، وحب الذات هى صفات من أبرز خصائصهم . وهى الصفات نفسها التى جعلت الرومان يقلبون لهم ظهر المجن ، ويمزقونهم كل ممزق ، وهى أيضا نفس مبررات ( هتلر ) لممارسة الاسلوب الذى اتبعه معهم الرومان والفرس ، فاليهود هم اليهود فى كل زمان ومكان ، نبغوا فى ( العمالة ) طريقا لبلوغ أطماعهم وتحقيق مآربهم . . كالتسلقات من النباتات التى لا يستقيم لها صعود وارتفاع الا على عود تستند اليه . وهم — لكى يصلوا الى أغراضهم — لا يهتمهم على أى ركيزة يرتكزون .

وفى العصر الحديث كانت ركيزة اليهود ( أوروبا ) ثم انكمش دورها وصارت ركيزتهم أمريكا . . ومهما طال الزمن . فسوف ينكمش دور أمريكا لأن عدالة السماء تطارد اليهود بما اقترفوه . . فى كل عصر . . ولعنة الضحايا الأبرياء تلاحقهم بما أجرموه فى كل جيل ، و « ان ريك بالمرصاد » .

وانه لمن واجب العرب . . كل العرب ، ومن واجب المسلمين . . كل المسلمين . . بل من واجب الإنسانية جمعاء ، أن يدرك الجميع أبعاد التآمر اليهودى ، وخطورة أحلامهم التوسعية الجامحة النابعة من نفوس مريضة ، تتراكم فيها مركبات نقص شريرة . . فما حلمهم ( من النيل الى الفرات ) يصور غاية مطامعهم ، وانما هو — على ما نعتقد — خطوة على طريق مطامعهم الخرافية للسيطرة على العالم كله واذلاله ان اتاحت لهم فرصة الاستثمار على هدى تعاليمهم التى اخترعها لهم حاخامتهم ضيقوا الافق ذوو التفكير البربرى والطوية المريضة والتى تقول : « تقرب الى الله بقتل غير يهودى » أوليست سياستهم هى — كما يحكى القرآن الكريم — « ليس علينا فى الأميين سبيل » . . ؟





### ( بقية الوحدة الإسلامية )

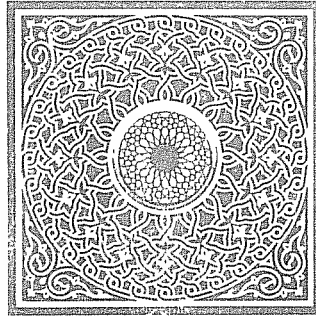
كان غير ذلك في أية وحدة في التاريخ ، وما أظنه يكون غير ذلك في أية وحدة في المستقبل ، « وإذ يمدكم الله إهدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » . وإذن نهيبات أن تصلح ظروف الدعة والرءاء والرخاء لقيام وحدة يرجى لها البقاء .



وظروف استمرار الوحدة أو عوامل دعمها وتقويتها ووقايتها تتلخص في وجود مرجع أعلى يرجع إليه عند ظهور بوادر الخلاف ، تكون له الكلمة الحاسمة ، والطاعة الواجبة ، على جميع الأطراف عن اقتناع وإذعان وخضوع ورضا . . ذلك المرجع الذي توفره الوحدة الإسلامية هو شريعة الله سبحانه المتمثلة في كتاب الله وسنة رسوله « . . فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا »

هذه بعض ملامح للشكل الذي ترك لنا أن نختاره للوحدة من واقع التجربة : تناولت الموضوع والغاية ، كما تناولت عوامل الإنشاء وعوامل الوقاية ، لا أدعى أنني أصبت بها نهاية القول ، ولكن أدعى أنني طرقت بابها .

إنما الأمر الذي أود أن نلتفت إليه بقوة في ظروف الأمة الإسلامية الراهنة وما تعانيه من تمزق وحيرة ، وما تتلف إليه من اهتداء إلى طريق النجاة . . هو أن نجاتها في وحدتها ، وأن وحدتها ليست سرايا إذا سلكتها إليها المنهج الميسر ، منهج الاعتصام بحبل الله ، وهو منهج يملكه الفرد ، كما تملكه الجماعة وتملكه الدولة ، فكلهم مسئول عنه . والله الموفق .



تفکیر اسلامی





# صانع العجائب

للأستاذ عزت محمد إبراهيم

كان الوقت قد جاوز العشاء بقليل ، وقد بدت واجهة الحرم المطلة على ( جياذ ) بمئذنتيها الشامختين غارقة في الاضواء ، وقد جعل المصلون يتهادون خارجين من الحرم تلهج السنتهم بالحمد والشكر ، وما لبثت جموعهم ان تفرقت يمنة ويسرة ، كل الى وجهته .

كان جليا أن جموع المصلين أكثر من المعتاد ، فقد كان موسم الحج قد هلت تباشيره ، وبدأ شارع ( جياذ ) مائجا بالحركة ، مضطربا بالناس ، ذاهبين وآيبين ، وعلى جانبيه صفت مقاعد هنا وهناك أمام بيوت المطوفين ، قد اتخذ منها بعض وفود الرحمن مجالس ينعمون فيها بنسمات الليل المنعشة ، وتتعلق أبصارهم بالحرم أمامهم فتشيع في نفوسهم الراحة والسكينة بعد عناء الجهد والتعب في الوصول الى مهوى أفئدتهم ومرتجى آمالهم .

وفي بيت من بيوت ( جياذ ) كانت تعيش أسرة قليلة العدد ، لم تكن تتجاوز الثلاثة أفراد : أم وابنتها وابنها ، ولم يكن الابنان هما كل ما للأُم من أبناء ، ولكنهما كانا كل من بقى معها من أبنائها ، فقد تزوج الآخرون ، واستقل كل منهما ببيت أصبح له فيه بنون وبنات يزورونهما بين الوقت والآخر ، ولولا ما ألم بها من مرض ، وما ألح عليها من علة ، لكانت أسعد الناس وأهنأهم بحياتها .

لم تكن قد بلغت من الكبر عتيا ، ولم تكن قد ردت الى ارضل العمر ، ولكنها كانت تبدو في مرضها وشحوبها كمن طعن به السن ، واصبح على شفا النهاية التي لا مفر منها لانسان .

ومن خصائص نافذة في البيت كانت الابنة تطل على شارع ( جيار ) ويتعلق بصرها بالحرم في خشوع وابتهاال ، لعل لسانها كان يلهج بالدعاء لشفاء امها التي اضعفها المرض واسقمته الآلام ، ولعلها كانت ترقب مجيء اخيها ليبدد عنها الوحشة الضاربة اطنابها في البيت الذي خيم عليه الهدوء والسكون .

كان الناس ينحدرون من اعلى الشارع الى اسفله ، او يصعدون من اسفله الى اعلاه ، ويختلط بعضهم ببعض فيخيل اليها أن شارعهم — وهي تطل عليه من عل — هو مجرى سيل ، فمن ناحية تكتنفه العمارات المرتفعة ، وعلى الاخرى يستقر جبل ( قبيس ) . قد انتشرت فوقه البيوت والمساكن حتى أصبح كأنه مدينة قائمة بذاتها .

وكرت بذاكرتها الى أيام خلت فانفرجت شفتاها عن بسمة خفيفة وهي تقول محدثة نفسها : بل هو على الحقيقة مجرى سيل . ما كان أشد ولعلها — وهي طفلة غريرة — بمشاهدة السيل في تدفقه وجريانه حاملا في طريقه أشياء كثيرة متنوعة ، كانت تتبعها بعينها أثناء مسيرها فتحسبها سفنا تمخر عباب بحر متلاطم الامواج ، زاهر الاثناج ، ولعلها كانت تسرع الى امها فتتمسك بتلابيبها حتى تأتي بها الى النافذة لتشاهد معها ذاك السيل المتدفق ، وتلك الأشياء الصغيرة المتنوعة التي لا تقوى على اعتراض طريقه فتستسلم لتياره ، ذكرت امها فترقرقت الدموع في عينيها ، ها هي ذى طريحة الفراش منذ ما يقرب من العام ، لا تكاد تغادره الا لقضاء حاجة لا مناص من قضائها ، ثم تعود اليه ، خائرة القوى ، شاحبة اللون ، تتراقص شفتاها توجعا وشكاية من هذه الآلام التي تنتابها بين الحين والآخر .

ما أكثر ما تناولت من دواء ، وما أكثر من عاها من أطباء ، ولكن العلة هي العلة ، والآلام هي الآلام .

اتجهت الى امها متناقلة الخطى ، واجلستها فوق فراشها ، وأمسكت بقارورة صبت من سائلها شيئا فوق ملعقة قريتها من فمها فابتلعته على كره ومضض ، ثم انزلت الى فراشها وقد اتسعت عيناها ولع فيهما بريق وهي تتطلع الى ابنتها مشفقة من عنائها وتعيبها ، وكأنها تريد أن تقول : لا فائدة — يا بنية — ولا رجاء ، فلم تشقين على نفسك ؟

ولم تنبس الابنة بكلمة ، وانما انتبذت من نفسها مكانا قصيا ، وأطلقت العنان لعبراتها تبلل بها خديها ، ودخل أخوها على حين غفلة منها فأراها على ما هي عليه فتخاذلت ساقاه ، وخيل اليه أنهما لا تقويان على حمله ، وأنه سيتهاوى على الارض كأنه بنيان قد انقض فجاة . قال يسأل أخته في أنفاس متتابعة :

— ماذا بك ؟ هل ألم بها شيء .. ؟ هل أصابها مكروه .. ؟  
ولم تجب ، وانما مسحت عينيها بمنديل فى يدها ، ثم اتخذت مجلسا  
فوق مقعد ألقت بنفسها فوقه القاء ، وظل الابن ذاهلا لا يدري شيئا ،  
وأحست الأم بمقدمه فنادت فى صوت ضعيف متهاك :

— فواز ، فواز ، أين أنت .. ؟ هل أتيت يا بنى .. ؟  
ومسمع ( فواز ) الصوت الضعيف المتهاك يحمل اسمه ، فثاب اليه  
رشده ، وردت اليه زوجته ، وانتظمت أنفاسه التى كادت أن تنقطع خشية  
وتوجسا ، وهرع الى أمه يحتضنها ويدعو لها بالبرء والشفاء ، ثم عاد الى  
أخته يكيل لها اللوم والتقريع ، ولكنها تطلعت اليه يكسو وجهها الحزن  
والأسى وهى تقول :

— الى متى ستظل على هذه الحال .. ؟ ان فؤادى يتمزق كل يوم  
عشرات المرات ، ليت الله أن يشفيها أو ..  
وغص حلقها فلم تكمل كلامها ، وانما عادت العبرات تنهمر فوق خديها  
منطلقة العنان .

وقلب ( فواز ) كفيه ، يضرب الواحدة بالآخرى وهو يقول :  
— ارادة الله ، وماذا فى وسعى أو وسعك أن نفعله ؟ لم ندخر جهدا ،  
ولم نخل — على علاجها والتماس الدواء لها — ببال ، وليس فى طاقتنا بعد  
ذلك الا أن نبتل الى الله أن يشفيها ويكتب لها البرء والنجاة . هل فى  
وسعنا غير ذلك ؟ هو وحده بيده كل شيء ، ولكل أجل كتاب ، واذا حانت  
الآجال فلا مهرب ولا مفر .

وبدا كمن يفكر فى شيء ، أو كمن يتذكر شيئا ، وانفجرت أسارير وجهه  
وهو يقول لأخته فى ابتهاج كمن يزف اليها بشرى :  
— لقد سمعت عن طبيب فى ( جده ) له سيرة حسنة على السنة  
الناس ، فهم يلهجون باسمه ، ويهدحون فيه المهارة ويشيدون بالمقدرة ، ولعل  
الله أن يجعل الشفاء على يديه ، فاذا كانت الغداة فسأذهب بها اليه من  
يدرى ؟ لعلها بعد ذلك تصبح غير ذات أسقام .

وفى عصر اليوم التالى ، كان ( فواز ) قد أعد العدة للذهاب بأمه الى  
ذاك الطبيب . تحاملت الأم على نفسها مستندة على ذراع ابنها وهو يكاد أن  
يحملها حملا حتى استقرت فى داخل السيارة . واتخذ ( فواز ) مكانه أمام  
مقود السيارة وقد غمرته فجأة مشاعر الفرح والسرور . وسار بسيارته  
الهوينى فى شارع ( جياذ ) حتى اذا بلغ منتهاه انحرف عن يمينه ثم توقف  
هنيهة ملتفتا الى أمه يريد أن يلتمس شيئا يسرى به عنها فقال مفتر النحر  
ضاحك السن :

— ألا تلحظين شيئا يا أمام على هذا الشارع .. ؟  
ردت مبتسمة :

— بلى يا بنى ، لكأنى به قد ازداد سعة ورحابة .  
شاعت الفرحة فى أسارير ( فواز ) وهو يقول :  
— انه لذلك ، انظرى الى الجبل عن يمينك ، ألا ترين أثر الهدم فيه ،  
لقد اقتطع منه جزء كبير ، أضيف الى الشارع فأصبح على ما ترين .  
ومضت بهما السيارة متجهة الى ( الغزة ) ، ثم الى ( ريع الحجون )  
فى طريقها الى ( جده ) .  
لاذت الأم بالصمت غير رغبة فى كلام أو حديث ، ولكن عقلها لم يكن  
يكف عن التفكير ، تارة فى مرضها الذى أعيا الاسساء ، وأخرى فى هذا  
الطريق الذى لم تقع عليه عينها منذ زمان طويل .  
وبلغت السيارة مشارف ( جده ) ، ووقعت عينا الأم على صخرتين  
كبيرتين تتوسطان الطريق فقالت فى فرح كفرح الاطفال :  
— « أم المسلم » ، اليس كذلك .. ؟  
التفت اليها ( فواز ) وهو يشاركها فرحها قائلاً :  
— بلى ، انها هى .  
قالت الأم :  
— أعرفها من هاتين الصخرتين ، ومن الطريق حين يهم بالارتقاع  
صاعداً .  
قال ( فواز ) منشرح الصدر :  
— ومن هذا البناء الذى يتوسط الطريق ، ويسستقر بداخله شرطى  
الجوازات ، هل نسيت .. ؟  
وعاد الصمت يلفهما بردائه ، وعادت الأم تفكر وتتأمل وهى تتطلع  
بمبنيها يمنة ويسرة :  
— ما أسرع ما يمتد العمران ، لو استمر الحال على ما هو عليه فما  
أظن إلا أن ( مكة ) و ( جده ) ستتصل احدهما بالآخرى ، أو يكون بينهما  
من المسافة ما لا يكاد يذكر .  
وصل ( فواز ) الى مبتغاه ، فأوقف سيارته ، وخرج وأمه تتحامل عليه  
تحاملاً شديداً ، ودخلا الى عيادة الطبيب ، وجلست الأم فى غرفة للنساء ،  
وانتظر هو مع المنتظرين فى غرفة الرجال ، وحين دور الأم فاتجهت الى  
الطبيب الذى جعل يسأل ويستفسر عن أصل الداء وأعراضه وبدايته ،  
ومحضر مستأنيا ، وخرجت المريضة منبسطة الاسارير تقص على ابنها ما رأت  
وما سمعت ، وهى راضية مستبشرة .  
وارتاح ( فواز ) لراحته ، ثم عادا ادراجهما الى السيارة .  
لم تكن غير لحظة تلك التى انبسطت فيها أسارير الأم وتلك التى  
رضيت فيها واستبشرت ، ثم ما لبثت أن عادت الى التجهم والاكتئاب ، وعاد  
ذهنها الى تفكير القاتل الذى دهمه اليأس من جميع أقطاره حتى لم يكن  
يجد لنفسه منفذاً أو مخرجاً .

وما هي الا ساعة أو تزيد قليلا حتى كان ( فواز ) يتهادى بسيارته متجها الى بيته في ( جواد ) مارا بـ ( السوق الصغير ) وهو يتمهل في سيره تارة ، ويتوقف أخرى حتى يتيح لافواج الخارجين من ( الحرم ) عبور الشارع بعد صلاة العشاء .

تطلعت الأم ناحية ( الحرم ) وبدا لـ ( فواز ) كأنها قد استشف ما يدور في خلدها ، فقال مبتسما :  
— هيا بنا ندخل .

وفتح باب السيارة ، واخذ بيد أمه يعينها على الخروج .  
كان ( الحرم ) متألئا بالانوار ، يتردد في جوانبه التهليل والتكبير ، والناس في رحابه بين ساع وطائف ، وقائم وقاعد ، منهم من يسعى بين ( الصفا ) و ( الروة ) ، ومنهم من يطوف بالكعبة متعلقا بأستارها تارة ، متمتعا بالدعاء تارة أخرى ، ومنهم من يقوم ويقعد قد اتخذ من مقام ابراهيم مصلى ، ومنهم من جلس في خشوع وابتهال باسطا بين يديه كتاب الله يقرأ بعض آياته .

اقتربت الأم من الكعبة ، وجلست ساكنة ، قد ران عليها الصمت والخشوع ، وغير بعيد منها جلس ابنها ( فواز ) ، وما هي الا لحظة حتى نهضت منتصبة القائمة مستقيمة العود ، كأنها قد دب فيها فجأة دبب الصحة والعافية ، أو كأنها قد بدلت في لحة خلقا جديدا ، وهرع ( فواز ) يلحق بها ممسكا بيدها وهو يقول في اشفاق :

— ولكنك لا تقدرين يا أماه ، ليس في طاقتك ذلك ، حسبك الجلوس على مقربة منها ، اذا كنت قد عقدت العزم على الطواف فدعيني آت لك بمحفة وأستاجر لك من يحملك فوقها .

ولكنها لم تلق اليه بالا ، ولا أصاغت له سمعا ، وانما بدأت الطوائف وهي تحس كأن طاقة قوية قد تدفقت في كيائها فجأة ، فهي تشيع فيه الصحة والعافية ، وتمده بالقدره على الحركة والنشاط . وجعل ( فواز ) يرنو اليها مشدوها لا يكاد أن يصدق ما تراه عيناه ، واخذ يحدث نفسه قائلا : لقد كنت أحملها حملا ، لقد ظلت طريحة الفراش زمنا ، أية قوة تلك التي انتهت على غير توقع وانتظار ، انها لم تعد مريضة ، لقد زایلها المرض وانكشفت عنها غمته .

وفرغت الأم من طوافها ، وقد غمرت وجهها سعادة قد نبعت من سويداء قلبها ، ثم اتجهت الى ( مقام ابراهيم ) تركع أمامه وتسجد ، وتقوم وتقعد ، وابنها لا يحول عنها عينيه ، وهو يكاد يقفز من مكانه فرحا ، ثم لم يلبث أن رفع يديه الى الله شكرا واعترافا بما أسبغ من فضل ، وبما أنعم من نعمة .

وخرجا من الحرم معا ، والأم تدب على قدمين قويتين ، واتخذت

مجلسها فى السيارة بغير مساعدة أو مساندة ، وأمسك ( فواز ) بالمقود  
ثم التفت الى أمه يقول ضاحكا :

— لم أشتري الدواء بعد ، سأذهب لشرائه .

— كلا ، لا حاجة لى به ، لم يعد بى مرض ، حمدا لله على ما أنعم  
وأفاد ، لعل الله قد أجرى على خاطرك ذكر هذا الطبيب لكى يحدث ما حدث  
وليس سواه .

وفى البيت كانت الابنة تنتظر بقلب واجف ، ولم تكدر ترى أمها حتى  
اعتراها ما اعتري ( فواز ) وهو مع أمه فى رحاب الحرم ، وتطلعت اليهما  
تقول فى دهشة :

— عجباً ، هذا من فعل الطبيب !

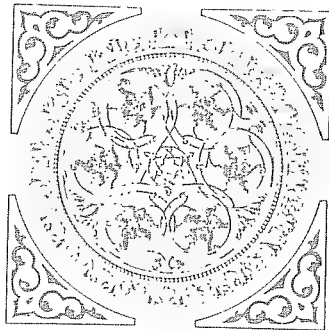
واعترضت الأم مستنكرة :

— بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء ، ويسبغ على من يشاء ،  
لا تأتيني بعد اليوم بدواء يا بنية ، وحسبى كل يوم أن أذهب الى هذا الحرم  
الآمن المطمئن ففيه الدواء لكل الادواء .

قلب ( فواز ) وجهه بين أمه وأخته ، واتخذ لنفسه الى جانب الأم  
مجلساً ، وشغله التفكير والتدبير فأخذ يناجى نفسه قائلاً :

— لا وجه لغربة أو استغراب ، ولا محل لعجب أو دهشة ، إنما هو  
فعل الايمان وأثره فى النفوس ، ولو خلصت النيات ، وصفت القلوب ،  
واتجهت الناس الى بارئهم بقلوب صافية غير مشوبة بشوائب وأخلاق ،  
لما ألم بهم مرض ، وما اعترضت حياتهم علل وأوجاع ، تنفص عليهم الحياة ،  
وتفسد عليهم سعادتها وبهجتها .

انه الايمان ، صانع المعجزات ، لا يخفى أثره ولا ينكر فضله ، هو  
دواء لكل الادواء : أدواء النفس وأدواء الجسد معا .



# رسالة مفتوحة

## إلى مؤتمر القمم الإسلامية

صورة من الرسالة المفتوحة التي وجهها مكتب المؤتمر الإسلامي العام في عمان للملك ورؤساء الدول الإسلامية ، والمنظمة النداء لهم بنصرة الحق وإزالة الخطر المحدق بالأرض المحتلة والقدس خاصة .

في حلقة هذا المنعطف التاريخي وتدافع الخطوب والاحداث التي تحيط بامة الاسلام ، نتوجه اليكم ناقلين صدى صرخات الاينام الذين حرموا عطف الابوة ، ونحيب الامهات اللواتي فقدن الابناء ، وحيرة الأرامل اللواتي فقدن حنان الأزواج ، باسم مئات الآلاف من المشردين الذين يفترون الأرض ويلتحفون السماء ، بعد أن تنكر لهم ضمير الانسانية ، حين طردوا من بيوتهم وديارهم ليفرض عليهم اللجوء والتشريد .

باسم الاسلام الذي جمعنا عقيدته نتوجه اليكم معلقين الآمال الكبيرة على مؤتمركم الخير أن تتذكروا في كل قرار يتخذ ومع كل بيان يصدر انصاف الحق وأمله وخذلان الباطل ومشايعيه ، خاصة وانكم تلتفون باسم الاسلام وشريعة التوحيد وبعد أن عرفت الدنيا كلها ما وقع على مقدساتنا من جراء الاحتلال اليهودي الفاشم وما آلت اليه الأوضاع في القدس دون أن يقع في ذهن العدو الفاصب أن القدس لها الاهمية الكبيرة لدى شعوب الاسلام ودوله . .

أيها السادة ،

حين نذكر القدس بشكل خاص ، نذكرها ونحن نفص بكلماتنا ، كقبلة أولى للمسلمين حين كانت الدعوة الاسلامية في بدايتها تبحث لها عن هوية ولقد التزم العرب والمسلمون في كل العصور صيانة المقدسات الدينية وتأمين الوافدين لها من كل ملة ونحلة وأشاعوا في بيت المقدس جوا من الدعوة والطمانية حتى تؤدي رسالتها المقدرة كواحة للأمن ومهدا للسلام على الأرض .

وانكم لتعلمون ان القدس ليست في الكيان الاسلامى مجرد مدينة من تلك المدن الكثيرة التى تخضع لمد الزمن وجزره ، لا وليست حاضرة خبرى ترتبط بالمقدسات والذكريات التى يمكن الاستغناء عنها بغيرها ، انها تتواجد الاسلامى — عقيدة وحضارة وأوطانا — ذلك الرمز الشامخ الذى يعنى بعاوه أو زواله بقاء الكيان أو اندثاره من الوجود .

ان القدس فى تاريخنا هى خط الدفاع الاخير والخندق الذى لا يجوز بعده التراجع ، فاذا ابتلعها الخطر كان على الامة الاسلامية أن تختار خيارها الجاسم بين الوجود والعدم . وها قد عادت القدس اليوم يضرها طوفان أسود كئيب حين دخل المستعمر القزم باحات مسجد عمر وقبة الصخرة المشرفة وأخذ يعبت بالمقدسات ويغير واقع المدينة وواقع سكانها ويفرض عليها شرادم الوافدين الغرباء .

لقد قدم العدو الدليل تلو الدليل على أن هدفه المرسوم هو تدمير الكيان الاسلامى فى المدينة المقدسة وفرض الوجه اليهودى الزائف عليها ، ولقد شرع منذ حرب حزيران عام ( ١٩٦٧ ) يفتعل الاسباب لتحقيق هذا الهدف ، ففي الرابع من آب من ذلك العام ، نشرت مجلة ( نايم ) الامريكية حوارا مع المؤرخ اليهودى ( اسراييل الداد ) حول اعادة بناء هيكل سليمان فقال « اننا نقف فى مرحلة حيث كان سليمان فى القدس ، أما المسجد الاقصى فهو موضوع بحث ، ولكن من يدري فقد تحدث هزة أرضية » ، والهزة الارضية المقصودة ستأتى بفعل الحفريات التى تحرى تحت مبنى المسجد الاقصى وكان الحريق المفتعل داخل المسجد خطوة أولى نحو هدمه ، وفى الاسبوع الثالث من احتلال البقية الباقية من القدس فى عام ( ١٩٦٧ ) م أصدر البرلمان اليهودى قانونا يضم القدس الشرقية الى دولة الاحتلال متحديا بذلك قرارى الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ( ٢٢٥٣ ) تاريخ ( ٤ تموز ١٩٦٧ ) ورقم ( ٢٢٥٤ ) تاريخ ( ١٤ تموز ١٩٦٧ ) ومنذ ذلك التاريخ أخذت سلطات الاحتلال اليهودى ترغم السكان العرب على التنازل عن ملكية أراضيهم وتطرد من يرفض الانصياع لذلك ، رغم الاحتجاجات والقرارات الدولية التى شجبت هذه التصرفات الهمجية والوسائل البربرية الصهيونية التى خطط لها وأشرف عليها زعماء اليهودية العالمية .

أيها السادة ،

تعلمون أن أول مؤتمر اسلامى عقد كان موضوعه الرئيسى ما أصاب المسجد الاقصى فى القدس بعد الحريق الذى اندلع فيه على يد سلطات الاحتلال اليهودى ، وعندئذ بدأت علامات الحياة ودلائل العافية تظهر على الجسم الاسلامى للالتفاف حول العقيدة السامية ، ولا ننسى أن انعقاد مؤتمرهم هذا جاء بعد العدوان اليهودى فى رمضان الماضى على اخوتكم العرب فكان علاقة ايمان وتكاتف ضد الخطر المشترك وليؤكد من جديد أن أرض الاسراء هى جزء لا يتجزأ من الوطن الاسلامى لا سبيل للتخلّى عنها أو التفريط فى شيء منها .



وفي هذا الظرف العصيب الذى تظهر فيه المشاريع المتآمرة والتي تود نزع اسلامية القدس عنها سواء عن طريق التدويل أو التهويد ، ينفقد مؤتمرهم المعتيد ليعلم أن الشعوب الاسلامية لن تتنازل عن قدسها والسيادة على مقدساتها الى أى جهة كانت مهما بذلت فى سبيل ذلك ، وستبقى القدس بؤرة توتر فى العالم ما دام الوضع السائد على ما هو عليه من تنكر لحقوق الشعب المشرد والمقدسات الاسيرة .

### أيها السادة ،

ازاء هذه الاحداث وما ترونها من نذر تلوح فى الاحواء الدولية تقودها الكتل والمنظمات الدولية المتصارعة ، تبرز ضرورة حيوية للتضامن الاسلامى ، ولا بد للمواقف الاسلامية من أن تزداد وضوحا فى دعمها للحق العربى وللضغط على الدول الكبرى التى تقف ظهيرة للعدوان اليهودى .

ونجد من واجب الدول الاسلامية المشاركة الفعالة فى معركة البترول الحالية لتشعر قوى الطغيان أن دعم الظلم والوقوف مع المعتدين سيكلفهم الكثير فى اقتصادهم ومالهم ومصالحهم ، وظننا أن اخوتنا فى البلاد الاسلامية كلها يشاركوننا الشعور بأن من يساند المعتدى شريك فى الجريمة ، فكيف اذا كانت الفريسة مقدسات الاسلام وقبلته الاولى كما أن الاحداث تدفعنا للمطالبة بايجاد تكتل اسلامى عسكرى ليكون الدرع الواقى والمظلة التى يقف تحت سقفها التجمع الاسلامى وقاية من الاخطار المحيطة ودفعاً للضميم وازالة للاعتداء عن كل شبر من ارض الاسلام يتعرض لأى نوع من التآمر ، وأولها ازالة الحيف الذى يلف مقدساتنا فى القدس وفلسطين والذى اذا ما تهاونت الدول الاسلامية فيه ولم تفكر فى ازالة غيمته ، سيكون الباب الذى يلجحه العدو الفاضل للوصول الى مدينة محمد ( صلى الله عليه وسلم ) والكعبة المشرفة — لا تسمح الله .

راجين مؤتمرهم النجاح ولشعب باكستان المسلم — الذى حمل لواء الدعوة لهذا الاجتماع — مزيدا من القوة ليكون ظهيرا ونصيرا للاسلام وقضائيا المسلمين .

(( ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز )) .

صدق الله العظيم

المؤتمر الاسلامى العام  
( لبيت المقدس )  
عمان — الأردن

# الفتاوى

في الأذان .. ؟

السؤال :

بعض المؤذنين يفتح الرأء فى التكبيرة الاولى فى الاذان فيقول : الله اكبر ، الله اكبر ، فهل يجوز ذلك .. ؟

فهد السحيم - الاحساء

الاجابة :

يستحب أن يقف المؤذن على التكبيرة الاولى بالسكون ، ويجوز أن يصلها بالتكبيرة الثانية ، وفى هذه الحالة يجوز له اسكان الرأء وتحريكها بالضم حركة اعراب وتحريكها بالفتح بنقل حركة اسم الجلالة فى التكبيرة الثانية الى الرأء ، وأما التكبيرة الثانية فلا بد من اسكان رائها وتحريكها خطأ .

الصلاة على النبى

السؤال :

ما معنى الصلاة فى قول الله تعالى : « ان الله وملائكته يصلون على النبى » .. ؟

عثمان بنونه - البحرين

الاجابة :

الصلاة من الله تعالى على نبىه صلى الله عليه وسلم تشريف له وزيادة تكربة فهى رحمة خاصة ، وقيل هى ثناء منه سبحانه على حبيبىه ومصطفاه ، والصلاة على النبى من الملائكة دعاء له بزيادة الانعام والاکرام .  
قال ابن عباس : ان الله تبارك وتعالى يبارك لنبيه فى أمره ويزيد فى قدره ، والملائكة يدعون ربهم أن يرفع ذكره .  
وصلاتنا على النبى صلى الله عليه وسلم طلب من الله تعالى ودعاء له أن يزيده فى انعامه واحسانه وفضله على رسوله ، وما من كمال الا وعند الله اكمل منه وما من احسان الا يفوقه احسانه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .  
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

معاشرة الزوجة

بعد الطلاق

السؤال :

رجل طلق زوجته ، ولم يخبرها بهذا الطلاق ، واستمر يعاشرها معاشرة الأزواج بعد وقوع الطلاق ، فهل يحل ذلك شرعا .. ؟

على الكرخى - الموصل

### الإجابة :

الطلاق الذي أوقعه الزوج ان كان رجعيا ، فمعاشرته لزوجته بعده اذا كانت قبل انقضاء عدتها منه شرعا كانت رجعة ، ولو لم تعلم بالطلاق ، واذا كانت بعد انقضائها ، او كان الطلاق بائنا كانت معاشرته محرمة ، ويجب التريق بينهما ..

### الطلاق قبل العدة والطلاق بعد العدة

### السؤال :

رجل طلق زوجته طلقة أولى رجعية ، واثناء العدة وقبل مراجعتها قال لها « أنت طالق مرة ثانية » ثم قال لها وهي لا تزال في العدة « أنت طالق ثلاثا » فما هذا الطلاق ، وهل يختلف الحكم اذا كانت في العدة أو خرجت منها .. ؟

أبو اليزيد الجمل - الاردن

### الإجابة :

الطلاق الثانى والطلاق الثالث اللذان صدرا من المطلق والزوجة فى عدة الطلاق الرجعى الاول يقعان ، وبذلك تصيح بائنة منه بينونة كبرى ، فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره بشروطه الشرعية ، واذا صدر الطلاق الثانى والثالث بعد انقضاء العدة فلا يقعان لأن المرأة حين الطلاق لم تكن محلا للطلاق ، فيجوز العقد عليها برضاها ومهر جديد .

### حكم تسمير مواد التموين

### السؤال :

ما حكم الشرع فى تسمير مواد التموين وغيرها وما الحكم فى البيع اكثر من السعر المحدد .. ؟

بندر خليفة - الكويت

### الإجابة :

تسمير المواد التموينية فى اوقات الازمات عمل ضرورى تقتضيه المصلحة العامة لتيسير العيش لجميع الأفراد على سواء ، ويدخل ذلك فى باب السياسة الشرعية التى تجمل لولى الأمر فى مثل هذه الظروف حق التخصيص والتحديد والتسمير استنادا الى قاعدة ( لا ضرر ولا ضرار ) وتجعل طاعته فيما يجريه فى ذلك حتما ومخالفته اثما والعقوبة عليها حقا .

وكذلك الحكم فى تسمير غيرها مما يحتاج اليه فى المعيشة كالملابس ومواد البناء ، ويحرم البيع بأكثر من السعر المحدد والله أعلم .

### زواج المطلقة قبل الدخول

### السؤال :

رجل طلق زوجته قبل الدخول بها ، فهل يحل لها أن تتزوج بآخر قبل انقضاء عدتها .. ؟

آدم فضل - السودان

### الإجابة :

المطلقة قبل الدخول والخلوة بها تبين من زوجها ، لا عدة عليها ، ويجوز لها التزوج بآخر عقب الطلاق قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها » .

# الوعظ الإلهامي

بريد

اشهاد : محمد السعيد بن بشار

وزع في جنوب تايلاند مصحف مزور على حساب جماعة التبشير  
( تمجاريك )

وقد قام الحاج حسن الأستاذ بالمدرسة الحسنية في منطقة ( فطاني )  
بمراجعته وبيان الأخطاء الواردة فيه وفيما يلي هذا التصحيح :

السورة	الآية	الخطأ	الصواب
آل عمران	١٣٠	يا ايها الذيم ولهم عذاب اليم	يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا
	١٤٣	وانتم لا يشترون	وانتم تنظرون
	١٨٨	من العذاب آمنوا	من العذاب ولهم عذاب اليم
	١٩٩	خاشعين لله تنظرون	خاشعين لله لا يشترون
المائدة	٩٣	ليس عليك وعلى والدتك	ليس على الذين آمنوا
	١١٠	ولو عليك وعلى والدتك	اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك
الانعام	٧٧	لاكونن ما تستعجلونه	لاكونن من القوم الضالين
	٩٨	لاكونن يفتقون	قد فصلنا الآيات لقوم يفتقون
	١٠٨	فيسبوا لله عدوا	فيسبوا الله عدوا
الأعراف	٤٦	وعلى الأعراف اجال	وعلى الأعراف رجال
النور	٥٦	لدلكم ترجمه ن	لعلكم ترحمون
يس	٦٦	لطمننا على هذا ذكر	لطمننا على أعينهم
الصفات	٣٩	وما تجرون ولا تزر وازرة	يرضه لكم ولا تزر وازرة
الزمر	٧	يرضه لكم الا ما كنتم	وما تجزون الا ما كنتم
المؤمن	٥٧	اخلق السموات	لخلق السموات
الزخرف	٨٠	لا نسمع مرهم	لا نسمع سرهم

بسم الله الرحمن الرحيم

MOHAMED RASSOUL, M. A.

GDS-DIPLOM

ISLAMIC INFORMATION CENTRE

الموضوع = امسداد مركز الدعوة الاسلامية  
بالطبوعات التعليمية باللغة الالمانية

5 Köln 80 (Dünnwald)  
Leimbachweg 2  
Telefon : Köln 602811

خطاب دورى موجه الى الحكومات الاسلامية  
وزارات الاوقاف والشؤون الاسلامية بها  
والهيئات العاملة على نشر الدعوة الاسلامية

تاريخ خاتم البريد : Datum :

حضرات الاخوة الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الدعوة الى سبيل الله عز وجل مفتوحة للجميع ، بل هى واجب وفرض عين على كل مسلم قادر يملك العلم والوسائل لذلك الامر . وانطلاقا من هذا المبدأ الاسلامى قام محرر هذا الكتاب بتكوين مركز للدعوة الاسلامية مع بعض الاخوة السذج اكرمهم الله سبحانه وتعالى بطلاقة اللسان الالمانى وسعة العلم والحجة ، فانبروا يدعون فى كل مناسبة وكل مكان ، وقد لمسوا مع هذا العمل توفيق المولى عز وجل ولاقوا نجاحا بفضل الله كانوا لا يتوقعونه بهذه السرعة . فان عدد المهتمين بالاسلام يزداد يوما بعد يوم وانهدمت فى كثير من الازهان هذه الصورة القيتة التى شكلتها الكنيسة عن الاسلام والمسلمين منذ المصور الو سيطى .

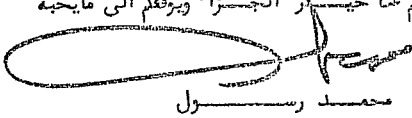
لقد اصبحت حاجتنا ماسة الى مطبوعات مختلفة باللغة الالمانية توضح الصلاة والزكاة والحج والصوم واحكام العبادات بصفة عامة وارشادات عن احكام الاسلام وشرح لتعاليمه الى اخر هذه الكتيبات التعليمية .

كذلك نحن فى حاجة الى مراجع اسلامية باللغة العربية ذات قيمة عظيمة للاستناد اليها فى البحث والتوسع فى اقراء الحجة بالحجة .

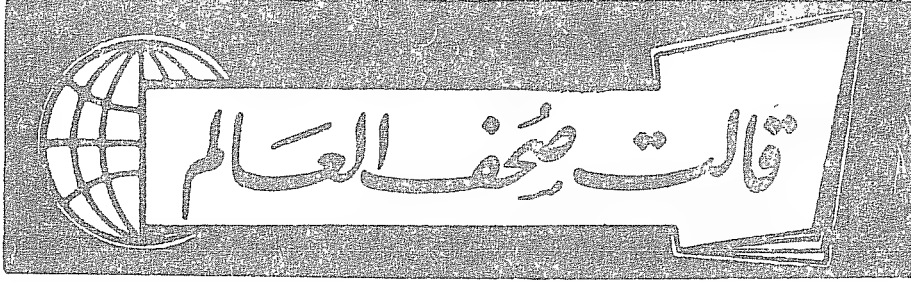
وانما لكبرى الامل عند الله سبحانه وتعالى ان تنقضى حاجتنا على ايادىكم وتذكروا بارسال مافى وسعكم وطافتكم من كتب ومطبوعات على العنوان التالى

Mr. Mohamed Rassoul  
Islamic Information Centre  
5 Cologne 80 , Leimbachweg Nr. 2  
Western Germany

نتقدم اليكم بالشكر سلفا وتدعو الله ان يججزىكم عنا خير الجزاء ويرفقكم الى ما يحبه ويرضاه .



محمد رسول  
مركز الدعوة الاسلامية بالمانيا الغربية



### الايمان طريقنا الى النصر بحول الله

ليس النصر فى معركة من المعارك فى تاريخ الأمة الاسلامية الا ثمرة للجهود ، وليس هو الاصل او الهدف كما علمنا الاسلام فى تاريخه المجيد ، وان دراسة التاريخ الاسلامى الاول تدل على أن عددا كبيرا من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بذلوا نفوسهم فى سبيل إعلاء كلمة الحق ، وتطبيق تعاليم النبى صلى الله عليه وسلم ونالوا الشهادة فى سبيلها ، ولم تشهد عيونهم بؤادر النصر ، ولكن السنتهم كانت تلهج ( فزت ورب الكعبة ) ان هذا الايمان بوعد الله ونصره والشوق الى الشهادة فى سبيل الله هو الطريق المضمون المجرب لتحقيق النصر ، وما النصر الا من عند الله .

اننا لا ننظر الى معركة العاشر من رمضان من ناحية الاعتبارات العسكرية والمنجزات الحربية ، بكل تقدير واعتراف بالنصر الذى اعترف به وحتى الدوائر الغربية — وانما ننظر الى الاساسيات التى حققت هذا التقدم فى النضال وبؤادر الامل والتفاؤل التى ابرزتها الحرب ، وكل ما حقق العرب فى هذا المجهود الحربى كان نتيجة لتغيير أساسى فى الفكر وتحول جذرى فى طبيعة الاستعداد والتنفيذ ، وتغير فى مصدر الكفاح ومنبع القوة ، فاذا سارت القيادة العربية فى الطريق الذى اكتشفته فى الحرب فانى واثق بأنها ستواصل النصر .. وتحقق النصر النهائى مهما تكاثفت قوى العدوان .

انى اريد ان اوضح لا اومن بالدعم الأمريكى او الدعم السوفياتى ، فانهما يمكن أن يكونا عاملين من العوامل ، ولكن المسلمين حطموا أسطورة الدعم فى معركتهم الأولى فى بدر ، فانتصر المسلمون رغم القلة ، واجهوا نكسة فى حنين رغم الكثرة ، فيختلف فى ذلك نظر المسلمين عن نظر غيرهم اختلافا جوهريا « وعلى هذا الأساس يقوم مجدهم ويستمدون منه قوتهم وانطلاقتهم .

عن صحيفة الرائد الهندية

## فى سبيل الاصلاح

ضمنى بالامس مجلس مع طائفة من الناس الذين اعرفهم والذين لا اعرفهم ، قضينا فيه ساعتين من الزمن ، تحدث فيه الحاضرون احاديث لا تفيد فى دنيا ولا فى دين ، لا تخرج عن كونها كلاما غثا نافها ، وكلمات مهلهلة تذهب مع الريح ولا يبقى لها اثر فى النفس ، وهى الى ذلك لا تخلو من الطعن بالناس وذكر معاييبهم ومثاليهم وتوجيه سهام النقد اليهم بالحق حيناً وبالباطل احياناً .

فقلت فى نفسى لو ان امثال هؤلاء عرفوا ما للوقت من قيمة ، وان كل ساعة تنقضى من عمر احدهم تضيع عليه وانه مسؤول عنها ، وان كلامه محسوب عليه ( ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ) او انهم عرفوا ذلك لما اضاعوا ساعات اعمارهم فى اللغو الباطل والكلام الفارغ ، فالمؤمن اليقظ العاقل لا يتحدث الا بما ينفعه ولا يحضر الا المجالس التى تزيده علماً وتمنحه خلقاً وادباً وتكسبه نفعاً فى أمور دينه وفى مصالح دنياه ، وهو مأمور بترك اللغو وهو الساقط من القول الذى لا خير فيه ولا نفع ، لان الانسان العاقل انما يتكلم لجلب منفعة او لدفع مضرة فاذا خلا عنهما كان كلامه عبثاً لا طائل تحته وقد وصف الله سبحانه عباده المؤمنين بقوله «والذين هم عن اللغو معرضون» وبقوله «واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه» وربما كان اللغو وبالاعلى صاحبه ، لانه لا يخلو من عبث وكذب وغيبة وبذاءة

وورد فى الحديث انه لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل، عن خمس ، من بينها ( عن عمره فيما افناه ) وأيام عمر المؤمن محسوبة له أو عليه ، فهو يستفيد منها ويشغلها بالخيرات والعبادة وطلب العلم والنصيحة والكسب الحلال والحديث النافع ، وقد ورد فى الاثر من حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه ، يعنى أن ما ينطق به اللسان معدود من العمل ويكتب فى الحسنات أو فى السيئات وهذا ما يشير اليه الحديث الشريف ( وهل يكب الناس فى النار على وجوههم الا حصائد السنتهم ؟ ) قال تعالى ( لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ) واللسان يورد صاحبه موارد العطب ، ومن حفظ لسانه اراح نفسه ، ويروى عن الامام مالك بن أنس رحمة الله انه قال كل شئ ينتفع بفضله — أى بزيادته — الا الكلام فان فضله يضر ، وقال الفضل بن عياض شيئان يقسيان القلب كثرة الكلام وكثرة الاكل ..

ونختم حديثنا بان ننصح القراء ان يختاروا الموضوعات النافعة عندما يتحدثون فى مجالسهم ، فمن كان منهم يحفظ قصة طريفة ذات مغزى أو خبراً طريفاً وصحيحاً من أخبار التاريخ ، أو رأياً من الآراء الأدبية أو العلمية النافعة التى تصلح موضوعاً للنقاش الهادىء المثمر فليحدث بها أخوانه وان كان لا يحسن شيئاً من ذلك فليكن مستمعا مستفيداً ..

عن صحيفة الدعوة السعودية

# بأقلام القراء

## كيف يتكرر جيل الصحابة من جديد ؟

لقد خرجت هذه الدعوة جيلا من الناس — جيل الصحابة رضوان الله عليهم — جيلا مميزا فى تاريخ الاسلام كله وفى تاريخ البشرية جميعه ثم لم تعد تخرج هذا الطراز مرة أخرى . . نعم وجد افراد من ذلك الطراز على مدار التاريخ ولكن لم يحدث قط أن تجمع مثل ذلك العدد الضخم فى مكان واحد ، كما وقع فى الفترة الأولى من حياة هذه الدعوة .  
هذه ظاهرة واضحة واقعة ، ذات مدلول ينبغى الوقوف امامه طويلا ، لعلنا نهتدى الى سره .

ان قرآن هذه الدعوة بين أيدينا ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه العملى وسيرته الكريمة ، كلها بين أيدينا كذلك ، كما كانت بين أيدي ذلك الجيل الأول ، الذى لم يتكرر فى التاريخ ، ولم يغيب الا شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل هذا هو السر ؟

لو كان وجود شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم حتميا لقيام هذه الدعوة ، وايتائها ثمراتها ، ما جعلها الله دعوة للناس كافة . وما جعلها آخر رسالة ، وما وكل أمر الناس فى هذه الأرض الى آخر الزمان .  
ولكن الله سبحانه تكفل بحفظ الذكر ، وعلم أن هذه الدعوة ستقوم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وستؤتى ثمارها فاختره الى جواره بعد ثلاثة وعشرين عاما من الرسالة ، وأبقى هذا الدين من بعده الى آخر الزمان . . واذن فان غيبة شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفسر تلك الظاهرة ولا تعللها .

فلنبحث اذن وراء سبب آخر . لننظر فى النبع الذى كان يستقى منه هذا الجيل الأول فلعل شيئا قد تغير فيه . ولننظر فى المنهج الذى تخرجوا عليه فلعل شيئا قد تغير فيه كذلك .

كان النبع الأول الذى استقى منه ذلك الجيل هو نبع ( القرآن ) القرآن وحده . فما كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه الا اثرا من آثار ذلك النبع . فعندما سُئِلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : ( كان خلقه القرآن ) .

كان القرآن وحده اذن هو النبع الذى يستقون منه ويتكيفون به ويتخرجون عليه ، ولم يكن ذلك كذلك لانه لم يكن للبشرية يومها حضارة ولا ثقافة ولا علم ولا مؤلفات ولا دراسات . .

كلا . . فقد كانت هناك حضارة الرومان وثقافتها وكتبها وقانونها الذى ما تزال اوربا تعيش عليه ، أو على امتداده . وكانت هناك مخلفات الحضارة



الاغريقية ومنطقها وفلسفتها ومنها ، وهو ما لا يزال ينبوع التفكير الغربى حتى اليوم . وكانت هناك حضارة الفرس وفنها وشعرها وأساطيرها وعقائدها ، ونظم حكمها كذلك .. وحضارات أخرى قاصية ودائية .. كما كانت اليهودية والنصرانية تعيشان فى قلب الجزيرة .

فلم يكن إذن عن فقر فى الحضارات العالمية والثقافات يقصر ذلك الجيل على كتاب الله وحده .. فى فترة تكوينه .. وانما كان ذلك عن ( تصميم ) مرسوم ونهج مقصود . يدل على هذا القصد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى فى يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه صحيفة من التوراة وقوله : « .. وانه لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له الا أن يتبعنى » .

وإذن فقد كان هناك قصد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقصر النبع الذى يستقى منه ذلك الجيل .. فى فترة التكوين الأولى على كتاب الله وحده ، لتخلص نفوسهم له وحده ، ويستقيم عودهم على منهجه وحده . ومن ثم غضب أن رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستقى من نبع آخر .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع جيل خالص القلب خالص العقل ، خالص التصور ، خالص التكوين من أى مؤثر آخر غير المنهج الإلهى ، الذى يتضمنه القرآن الكريم .

ذلك الجيل استقى إذن من ذلك النبع وحده . فكان له فى التاريخ ذلك الشأن الفريد ، ثم ماذا حدث ؟ اختلطت ينباع !

صبت فى النبع الذى استقى منه الأجيال التالية فلسفة الاغريق ومنطقهم ، وأساطير الزمن وتصوراتهم واسرائيليات اليهود ولاهوت النصارى . وغير ذلك من رواسب الحضارات والثقافات .

واختلط هذا كله بتفسير القرآن الكريم ، وعلم الكلام ، كما اختلط بالفقه والأصول أيضا . وتخرج على ذلك النبع المشوب سائر الأجيال بعد ذلك الجيل . فلم يتكرر ذلك الجيل أبدا .

وما من شك أن اختلاط النبع الأول كان عاملا أساسيا من عوامل ذلك الاختلاف البين بين الأجيال كلها وذلك الجيل المميز الفريد . هناك عامل أساسى غير اختلاف طبيعة النبع . ذلك هو اختلاف منهج التلقى عما كان عليه فى ذلك الجيل الفريد .

إنهم فى الجيل الأول لم يكونوا يقربون القرآن بقصد الثقافة والاطلاع . ولا بقصد التذوق والمتاع . إنما كان أحدهم يتلقى القرآن ليتلقى أمر الله فى خاصة شأنه وشأن الجماعة التى يعيش فيها وشأن الحياة التى يحياها هو وجماعته . يتلقى ذلك الأمر ليعمل به فور سماعه ، كما يتلقى الجندي فى الميدان الأمر اليومى ليعمل به فور تلقيه ومن ثم لم يكن أحدهم ليستكثر منه فى الجلسة الواحدة ، لأنه كان يحس أنه إنما يستكثر من الواجبات التكليف التى يجعلها على عاتقه . فكان يكتفى بعشر آيات حتى يحفظها ويعمل بها . كما جاء فى حديث ابن مسعود رضى الله عنه .

هذا الشعور .. شعور التلقى للتنفيذ .. كان يفتح لهم من القرآن آفاقا من المتاع ، وآفاقا من المعرفة لم تكن لتفتح عليهم لو أنهم قصدوا اليه بشعور البحث والدراسة والاطلاع ، وكان يبسر لهم العمل ويخفف عنهم ثقل التكليف ،

ويخلط القرآن بذواتهم ، ويحوّله فى نفوسهم وفى حياتهم الى منهج واقعى والى ثقافة متحركة لا تبقى داخل الأذهان ولا فى بطون الصحائف ، انما تتحول آثارا وأحداثا تحول خط سير الحياة .

ان هذا القرآن لا يمنح كنوزه الا لمن يقبل عليه بهذه الروح . روح المعرفة المنشئة للعمل . انه لم يجرى ليكون كتاب متاع عقلى ، ولا كتاب أدب وفن ، ولا كتاب قصة وتاريخ ، وان كان هذا كله من محتوياته انما جاء ليكون منهاج حياة . منهاجا اليها خالصا ( وقرأنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ) الاسراء : ١٠٦ .

لم ينزل هذا القرآن جملة ، انما نزل وفق الحاجات المتجددة ، ووفق النمو المطرد فى الأفكار والتصورات ، والنمو المطرد فى المجتمع والحياة . . ووفق المشكلات العملية التى تواجهها الجماعة المسلمة فى حياتها الواقعية . وكانت الآية أو الآيات تنزل فى الحالة الخاصة والحادثة المعينة تحدث الناس عما فى نفوسهم ، وتصور لهم ما هم فيه من الأمر ، وترسم لهم منهج العمل فى الموقف ، وتصحح لهم أخطاء الشّعور والسلوك ، وتربطهم فى هذا كله بالله ربهم ، وتعرفهم لهم بصفاته المؤثرة فى الكون .

فيحسون حينئذ أنهم يعيشون مع الملائة الأعلى ، تحت عين الله ، فى رحاب القدرة . ومن ثم يتكيفون فى واقع حياتهم وفق ذلك المنهج الإلهى القويم . منهج التلقى للتنفيذ والعمل هو الذى صنع الجيل الأول . ومنهج التلقى للدرياسة والمتابع هو الذى خرج الأجيال التى تليه . وما من شك ان هذا العامل الثانى كان عاملا أساسيا كذلك فى اختلاف الأجيال كلها عن ذلك الجيل المميز الفريد .

هناك عامل ثالث جدير بالانتباه والتسجيل ، لقد كان الرجل حين يدخل الاسلام يخلع على عتبته كل ماضيه فى الجاهلية . كان يشعر فى اللحظة التى يجرى فيها الى الاسلام انه يبدأ عهدا جديدا منفصلا عن حياته التى عاشها فى الجاهلية .

وكان يقف من كل ما عهده فى جاهليته موقف المرتاب الشك الحذر المتخوف ، الذى يحس أن كل هذا رجس لا يصلح للاسلام .

فاذا غلبته نفسه مرة . واذا اجتذبه عاداته مرة . واذا ضعف عن تكاليف الاسلام مرة . . شعر فى الحال بالإثم والخطيئة ، وأدرك فى قرارة نفسه أنه فى حاجة الى التطهر مما وقع فيه . وعاد يحاول من جديد أن يكون على وفق الهدى القرآنى . .

كانت هناك عزلة شعورية كاملة بين ماضى المسلم فى جاهليته وحاضره فى اسلامه .

وأخيرا يجب أن يضع كل منا فى اعتباره أن هدفنا الأول أن نعرف : ماذا يريد منا القرآن أن نعمل ؟ ما هو التصور الكلى الذى يريد منا أن ننصوّر ؟ كيف يريد القرآن أن يكون شعورنا بالله ؟ كيف يريد أن تكون أخلاقنا وأوضاعنا ونظامنا الواقعى فى الحياة ؟

مصطفى أحمد حسن

# الجمهورية العربية الإسلامية

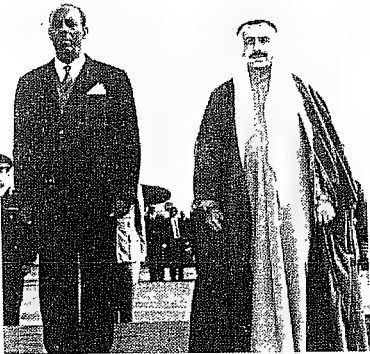
اعداد : الأستاذ فهدى الامام



● صاحب السمو ورئيس جمهورية مصر العربية يتبادلان وجهات النظر .



● صاحب السمو الأمير المعظم ورئيس الجمهورية العربية السورية في قصر السلام .



● صاحب السمو الأمير المعظم والرئيس الصومالي على منصة الشرف أثناء عزف السلامين الصومالي والكويتي .

## الكويت :

● يرأس سمو أمير البلاد المعظم وفد الكويت الى مؤتمر القمة الاسلامي المنعقد حالياً في لاهور .

● زار البلاد في الشهر الماضي بعض كبار الشخصيات العربية والاسلامية من بينهم رئيس جمهورية مصر العربية ورئيس الجمهورية العربية السورية ورئيس المجلس الأعلى لجمهورية الصومال الديمقراطية .

● أعلنت وزارة التربية النتائج النهائية لمسابقة القرآن الكريم ، وقد حصل ٧٢ طالبا وطالبة على جوائز مالية .

## مصر :

● وافقت ادارة الأزهر على السماح لخريجات كلية البنات الاسلامية بدخول مسابقة مبعوثي الأزهر الى البلاد العربية والاسلامية ، وذلك للعمل كمدرسات ومرشدات دينيات ورائدات اجتماعيات .

● بحث الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية مع السيد ياسر عرفات قضية عروبة

مدينة القدس وتعبئة الطاقات  
الإسلامية للدفاع عنها وتحريرها .

● يعتقد فى القاهرة اجتماع للخبراء  
العسكريين العرب وذلك لبحث  
مشروع انشاء قاعدة عربية متطورة  
للصناعات الحربية .

### السعودية :

● يقوم وفد رابطة العالم الإسلامى  
بزيارة الصومال ، ويجرى الوفد  
سلسلة من المباحثات واللقاءات تتعلق  
بالقضايا الإسلامية ، ودعم الصلات  
الأخوية بين المسلمين .

● اقترح وزير التجارة السعودى  
انشاء معرض إسلامى فى جدة .

### فلسطين :

● بلغ عدد الجمعيات الخيرية داخل  
الأرض المحتلة ١٧٥ جمعية .. مهمتها  
مساعدة المواطنين الفلسطينيين  
تدعيا لصمودهم ، ومحافظة على  
أراضيهم ، وتقديم القروض  
والمساعدات المجانية لهم .

### ● أخبار متفرقة ●

### الغابون :

● أعلن الرئيس الغابونى الحاج عمر  
بونغو موافقته على افتتاح مكتب جديد  
لرابطة العالم الإسلامى فى غابون .  
يكون مقره فى العاصمة ليبرفيل ،

وتنطلق منه الدعوة الإسلامية فى  
ساحل افريقيا الغربى .

### هولنده :

● يبلغ عدد المسلمين فى هولنده  
حوالى ( ٣٠ ) ألفا ، تشكلت لهم  
جمعية إسلامية تهدف الى تعبئة  
جهودهم لخدمة الدعوة الإسلامية .

### باكستان :

● يعقد مؤتمر القمة الإسلامى فى  
لاهور .. ويحضره أكثر من ٣٠ دولة  
إسلامية .

● وضعت باكستان مشروعا لانشاء  
مؤسسة للعلوم الإسلامية تقوم  
بتمويل عدد من مراكز الأبحاث وتدريب  
العلماء والفنيين فى العالم الإسلامى .

### ميونيخ :

● افتتح فى مدينة ميونيخ مسجد  
جديد يضم مكتبة وقاعة واستراحة ..  
والمسجد يخدم ( ٣٠ ) ألف مسلم فى  
ميونيخ .. وهو سادس مسجد فى  
المانيا الغربية .

### اليابان :

● تصدر رابطة المسلمين اليابانيين  
نشرة باسم « صوت الإسلام » باللغة  
اليابانية مع ملخصات باللغة  
الإنجليزية .

# مَواقِيتُ الصَّلَاةِ حَسَبَ التَّوَقِيتِ الْحَايِ لِدَوْلَةِ الْكُوَيْتِ

المَواقِيتُ الشَّرْعِيَّةُ بِالزَّمَنِ الْفَرَوِيِّ						المَواقِيتُ الشَّرْعِيَّةُ بِالزَّمَنِ الزَّوَالِيِّ						فبراير ١٩٧٤		أيام الأسبوع	
عشاء	عصر	ظهر	مشرق	فجر	دس	عشاء	عصر	ظهر	مشرق	فجر	دس	دس	دس	دس	دس
١١٨	٩٣٤	٦١٩	١٢٣٨	١١٨	٨	٧٠٠	٥٤٢	٣١٩	١٢١	٦٢٠	٤٥٠	٢٣	١	السبت	
١٨	٣٤	١٨	٣٦	٦		١	٤٣	١٧	١	١٩	٤٩	٢٤	٢	الاحد	
١٨	٣٣	١٧	٣٤	٤		٢	٤٤	١٧	١	١٨	٤٨	٢٥	٣	الاثنين	
١٨	٣٣	١٧	٣٣	٣		٣	٤٤	١٧	١	١٧	٤٧	٢٦	٤	الثلاثاء	
١٨	٣٣	١٦	٣١	١		٣	٤٥	١٨	١	١٦	٤٦	٢٧	٥	الاربعاء	
١٨	٣٢	١٥	٢٩	١٠٥٩		٤	٤٦	١٨	١	١٥	٤٥	٢٨	٦	الخميس	
١٨	٣٢	١٤	٢٨	٥٨		٤	٤٦	١٨	٠٠	١٤	٤٤	مارس	٧	الجمعة	
١٨	٣٢	١٣	٢٦	٥٦		٥	٤٧	١٩	٠٠	١٣	٤٣	٢	٨	السبت	
١٨	٣١	١٢	٢٤	٥٤		٦	٤٨	١٩	٠٠	١٢	٤٢	٣	٩	الاحد	
١٨	٣١	١٢	٢٣	٥٣		٦	٤٨	١٩	٠٠	١١	٤١	٤	١٠	الاثنين	
١٨	٣٠	١١	٢١	٥١		٧	٤٩	٢٠	٠٠	١٠	٤٠	٥	١١	الثلاثاء	
١٨	٣٠	١٠	١٩	٤٩		٨	٥٠	٢٠	٠٠	٩	٣٩	٦	١٢	الاربعاء	
١٨	٣٠	٩	١٧	٤٧		٩	٥١	٢٠	٠٠	٨	٣٨	٧	١٣	الخميس	
١٨	٢٩	٨	١٦	٤٦		٩	٥١	٢٠	١٥٩	٧	٣٧	٨	١٤	الجمعة	
١٨	٢٩	٧	١٤	٤٤		١٠	٥٢	٢١	٥٩	٦	٣٦	٩	١٥	السبت	
١٨	٢٩	٧	١٣	٤٣		١٠	٥٢	٢١	٥٩	٥	٣٥	١٠	١٦	الاحد	
١٨	٢٨	٦	١١	٤١		١١	٥٣	٢١	٥٩	٤	٣٤	١١	١٧	الاثنين	
١٨	٢٨	٥	٩	٣٩		١٢	٥٤	٢١	٥٩	٣	٣٣	١٢	١٨	الثلاثاء	
١٨	٢٧	٤	٨	٣٨		١٢	٥٤	٢١	٥٨	٢	٣٢	١٣	١٩	الاربعاء	
١٨	٢٧	٣	٦	٣٦		١٣	٥٥	٢٢	٥٨	١	٣١	١٤	٢٠	الخميس	
١٨	٢٦	٢	٤	٣٤		١٤	٥٦	٢٢	٥٨	٥٥٩	٣٠	١٥	٢١	الجمعة	
١٨	٢٦	١	٢	٣٢		١٤	٥٦	٢٢	٥٧	٥٨	٢٨	١٦	٢٢	السبت	
١٨	٢٥	٠٠	٠٠	٣٠		١٥	٥٧	٢٢	٥٧	٥٧	٢٧	١٧	٢٣	الاحد	
١٨	٢٥	٥٥٩	١١٥٨	٢٨		١٦	٥٨	٢٢	٥٧	٥٦	٢٦	١٨	٢٤	الاثنين	
١٨	٢٤	٥٩	٥٧	٢٧		١٦	٥٨	٢٢	٥٧	٥٥	٢٥	١٩	٢٥	الثلاثاء	
١٨	٢٤	٥٨	٥٥	٢٥		١٧	٥٩	٢٣	٥٧	٥٣	٢٤	٢٠	٢٦	الاربعاء	
١٨	٢٣	٥٧	٥٣	٢٣		١٧	٥٩	٢٣	٥٦	٥٢	٢٢	٢١	٢٧	الخميس	
١٨	٢٣	٥٦	٥١	٢١		١٨	٦٠٠	٢٣	٥٦	٥١	٢١	٢٢	٢٨	الجمعة	
١٨	٢٢	٥٥	٤٩	١٩		١٩	١	٢٣	٥٦	٥٠	٢٥	٢٣	٢٩	السبت	
١٨	٢٢	٥٤	٤٧	١٧		١٩	١	٢٣	٥٥	٤٨	١٨	٢٤	٣٠	الاحد	

## أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها

- اسمها :** عائشة بنت أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
**والدها :** أم رومان بنت عامر بن عويمر الكناينة .  
**مولدها :** ولدت بعد البعثة بأربع سنين في مكة .  
**كنيتها :** كناهها الرسول بأُم عبد الله . . نسبة إلى عبد الله بن الزبير - ابن أختها - .  
**زواجها :** كانت أول من تفتح لها قلب الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها بثلاث سنين . وهي الوحيدة التي تزوجها الرسول بكراً . عقد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بنت ست سنوات ودخل بها في المدينة وهي بنت تسع سنوات ، وكان ذلك في شوال من السنة الأولى للهجرة .  
**روايتها للحديث :** كانت راوية حافظة للحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وروى عنها كثير من الصحابة والتابعين . . وكانت ذات أثر عميق في نشر تعاليم الإسلام . . وكانت عالمة بالحديث والفقه وعلم الفرائض .  
**مكانتها :** فقد عاشت عائشة لتكون المرجع في الحديث والسنة . وليأخذ المسلمون عنها نصف دينهم .  
**مكانتها :** كانت أئمة عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما نزل به المرض دعا نساءه فاستأذنهن أن يمرضن في بيتها فأذن له أن يكون حيث أحب . . وتوفي في بيتها . .  
**وفاتها :** تقول عائشة رضي الله عنها : « أعطيت حسلاً ما أعطيتها امرأة . ملكني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا بنت سبع ، وأتاه الملك بصورتي في كفة لينظر اليها ، وبني بي لتسع ، ورأيت جبرائيل ، وكنت أحب نسائه إليه . ومرضته فقبض ولم يشهده غيري والملائكة » .  
**وفاتها :** توفيت عائشة أم المؤمنين في السادسة والتسعين من عمرها بالمدينة المنورة في ١٧ رمضان سنة ٥٧ هـ . ودفنت بالبقيع . وصلى عليها أبو هريرة . رجمها الله ورضي عنها .

## « إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك في المجلة ، ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياح المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين في الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متمدن التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتهمدين :

القاهرة :	شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان :	الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : ( ٣٥٨ ) .
ليبيا :	طرابلس الغرب : دار الفرجاني — ص.ب : ( ١٣٢ ) . بنغازي : مكتبة الخراز — ص.ب : ( ٢٨٠ ) .
المغرب :	الدار البيضاء — السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكي .
تونس :	مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا .
لبنان :	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : ( ٤٢٢٨ ) .
عُدن :	مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع : ص.ب : ( ٤٢٢٧ ) .
الأردن :	عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : ( ٣٧٥ ) .
السعودية :	جدة : مكتبة مكة — ص.ب : ( ٤٧٧ ) .
	الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : ( ٤٧٢ ) .
	الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : ( ٧٦ ) .
	الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : ( ٢٢ ) .
	مكة المكرمة : مكتبة الثقافة .
المراق :	المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
	بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .
	البحرين :
	المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .
	قطر :
أبو ظبي :	الدوحة : مؤسسة العروبة — ص.ب : ( ٥٢ ) .
	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : ( ٨٥٧ ) .
	دبي :
	مطبعة دبي .
	الكويت :
الكويت :	مكتبة الكويت المتحدة .

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة



## اقرأ في هذا العدد

٤	للشيخ محمد الفوزالي	الله
٨	للدكتور سعد عبد الرؤوف	نظرات في الحديث
١٦	للدكتور علي محمد حسن	مشكلات الفواصل
٢٠	للدكتور عبد المال سالم مكرم	بين العقل والوحي
٢٩	للدكتور وهبة الزحيلي	الفتايات الاحصائية
٣٧	عرض وتعليق الدكتور يوسف نوفل	العلم والدين والفلسفة (كتاب الشهر)
٤٤	للدكتور محمد سلام مذكور	اللهي في نصوص التشريع الاسلامي
٥٢	للاستاذ محمد عزة دروزه	حكم الاسرى والرق في القرآن
٦٠	.. . . .	مائدة القاريء
٦٢	للدكتور أحمد علي المجدوب	دور المؤسسات الدينية في الوقاية
٦٨	.. . . .	من تعاطى المخدرات والادمان عليها
٧٢	للاستاذ عبد القادر طاشي	العناية ببيوت الله بتونس
٧٩	للاستاذ يحيى هاشم حسن فرغل	التركستان بين الظلم والنسيان
٨٤	للاستاذ محمد عبد الحافظ	الوحدة الاسلامية
٩٢	للاستاذ عزت محمد إبراهيم	الشعب المختار وماضيه مع الاستعمار
٩٩	.. . . .	صانع المعجزات ( قصة )
١٠٢	للتحرير	رسالة مفتوحة الى المؤتمر الاسلامي
١٠٤	اعداد عبد الحميد رياض	الفتاوى
١٠٦	للتحرير	بريد الوعي
١٠٩	للدكتور محمد عبد الرؤوف	باقلام القراء
١١١	اعداد الاستاذ فهمي الامام	قالت الصحف
١١٣	.. . . .	الاخبار
١١٤	.. . . .	مواقيت الصلاة
		ام المؤمنين السيدة عائشة